من صور الهجاء الشخصي في الشعر الجاهلي

محمود حسين عبيد الله العزازمة*

الملخص

يحاول هذا البحث استجلاء ظاهرة الهجاء الشخصي كما جاءت في نصوص الشعر العربي الجاهلي، يعرض البحث في البداية لمفهوم الهجاء ، ثم يتحدث عن نشأته وبداياته في الشعر الجاهلي ، ثم يتحدث عن أنواعه في الشعر الجاهلي ؛ الهجاء الأخلاقي، والسياسي ، والقبلي، والجمعي .

وينتهي البحث إلى النظر في ظاهرة الهجاء الشخصي ومظاهره في الشعر الجاهلي، مقسماً هذا النوع من الهجاء إلى قسمين: قسم يتعلق بالعيوب الخُلقية المتعلق بصفات البخل والغدر والأنانية والضعف والذلّة وغيرها، وقسم يتعلق بالعيوب الخَلقية كالبدانة الجسدية، وشكل الوجه والأنف والأسنان، وشكل البطن وانتفاخها، وصفات أخرى تتعلق بالفم ورائحته وغيرها، ويقدم البحث النماذج الدالة من الشعر العربي الجاهلي، التي تكشف عن فنّ الهجاء الشخصي وتبين خصائصه ومراميه.

المقدمة:

يحاول هذا البحث النظر في ظاهرة الهجاء الشخصي من خلال نصوص الشعر العربي الجاهلي.

لقد توفرت الكثير من الأشعار الجاهلية التي صُنفت في باب الهجاء بعامة؛ غير أن الهجاء الشخصي ظلّ في حاجة إلى إبانة وإيضاح؛ لورود ذكره في سياق الحديث عن الهجاء بشكل عام، ولم تفرد له– فيما أعلم – دراسة مستقلة توضح خصائصه وتكشف عن جوانبه المختلفة في الشعر الجاهلي، أو تميط اللثام عن عناصره ومضامينه الموضوعية والفنية.

لهذا؛ جاء البحث ليدرس ظاهرة الهجاء الشخصي في الشعر الجاهلي من خلال مبحثين:

المبحث الأول: ويعرض لمفهوم الهجاء عامة، ثم ينتقل لدراسة نشأة فن الهجاء وبداياته وبواعثه الأولى، ثم يدرس أنواع الهجاء في العصر الجاهلي، كالهجاء الأخلاقي، والسياسي، والقبلي، والجمعي.

المبحث الثاني: ويدرس الهجاء الشخصي ومظاهره في الشعر الجاهلي كما وردت في قصائد الشعراء الجاهليين، ويقسِّم الهجاء الشخصي إلى قسمين :

– الهجاء الشخصي المتعلق بالعيوب الخُلقية، ويتضمن عددا من العيوب التي ذكرها الشعراء، مثل: العيوب المتعلقة بالأنساب، وعيوب صفة البخل، وعيوب صفة الذلة والهوان والضعف والاستكانة، وعيوب تتعلق بصفة الأنانية وحب الذات، وعيوب تتعلق بصفات الغدر و الخيانة والخداع، والاستعلاء، وغيرها من عيوب خُلقية.

– الهجاء الشخصي المتعلق بالعيوب الخَلقية، كالعيوب المتعلقة بدمامة الوجه، وشكل الجسد، وبدانته، ورائحته غير الطيبة، وصفة هزال الجسم، وعجزه بسبب تقدم السن، وغيرها.

المبحث الأول:

مفهوم الهجاء :

الهجاء لغة: من هَجَاهُ، يَهْجُوْهُ، هَجْوَاً، وَهِجَاءً، وتَهْجاءً، بمعنى: شتمه بالشعر، والهجاء بهذا المعنى خلاف المدح [1].

وهو تقطيع اللفظة بحروفها، ومنه: هجّيتُ الحروفَ وَتَهجّيْتُها، ومنه: هَجُوَ يومُنا بمعنى: اشتد حرُّه، والهَجاةُ هو الضّفدع، وَهَجِي البيتُ هجيًا : انكشف ، وهجِيتْ عَينُ البعير، بمعنى غارت [2]، ومنه قول

* قسم اللغة العربية وآدابها ـ كلية الآداب ـ جامعة حائل

أحدهم عندما سُئل: أتقرأ من القرآن شيئا ؟ قال: والله ما أهْجُو منه حرفا، أي: ما أقرأ منه حرفا، ويذكر ابن فارس أن(هجاه) بمعنى: إذا وقَع فيه بالشِّعر"[3].

أما اصطلاحا فهو أحد الفنون الشعرية في الأدب العربي" يعبر به الشاعر عن عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء، ويمكن تسميته بفن الشتم والسّباب، فهو نقيض المدح، ونجد فيه نقائض الفضائل التي يتغنى بها المدح، فالغدر ضد الوفاء، والبخل ضد الجود، والكذب ضد الصدق، والجبن ضد الشجاعة، والجهل ضد العلم "[4].

وقد ذكر بعض النقاد فن الهجاء بوصفه غرضا من أغراض الشعر العربي، ونلمس هذا من خلال قول ابن رشيق القيرواني: "إن الشعر نوعان، مدحٌ وهجاء" وقول أبي هلال العسكري في سياق تصنيفه لأغراض الشعر العربي، في قوله: "وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح ، والهجاء، والوصف، والتشبيب، والمراثى، حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه " [5] .

فإذا كان الشاعر يفتخر بنفسه أو بقبيلته، فإنه يحط من شأن عدوه وينشر مخازيه ومساوئه.

يقول ابن رشيق: "فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج التهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض. وما قربت معانيه، وسهل حفظه، وأسرع علوقه بالقلب، ولصوقه بالنفس. فأما القذف والإفحاش فسباب محض، ليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن"[6].

أما قدامة بن جعفر(ت 337 هـ) فقد عرف الهجاء بقوله: " الهجاء ضد المديح، فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كانت أهجى له، ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجي فيها وكثرتها "[7].

ويطلق ابن طباطبا العلوي مسمّى الهجاء على الفن الأدبي القائم على قذف الأشخاص، وبيان معايبهم ونواقصهم[8].

ويرى الإبشيهي(ت 850 هـ) أن الهجاء لا يخلو من الفوائد اللغوية والفنية، ففيه الكثير من الإشارات الإنسانية كـ" الوقوف على مِلحهِ، وما فيه من ألفاظ فصيحة، ومعان بديعة، لا التشفي بالأعراض والوقوع فيها، وليس الهجاء دليلا على إساءة المهجو، ولا صدق الشاعر فيما رماه به، فما كل مذموم بذميم، وقد يهجى الإنسان بهتانًا وظلمًا أو عبثًا أو إرهابا[9].

ومن الباحثين من أشار إلى أنه "أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء سواء كان موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب "[10]، ويرى الباحث عبد الحميد جيدة أن الإنسان حين يضطر إلى الهجاء، فإنما يحمل في داخله معاناة إنسانية كبيرة، ويعتريه إحساس عميق بالظلم والقهر والاضطهاد[11].

كما عرفه عباس بيومي عجلان بأنه" شعر يقترب من الواقع، ويرتبط بالمجتمع وهو الشعر الذي يؤرخ التطور الاجتماعي وتؤخذ منه صورة الحياة ومثالب السادة" وبصرف النظر عن أقوال العلماء في الهجاء ورؤاهم عنه، فقد شكّل فن الهجاء في جوهره، ما يشبه الحركة النّقدية الاجتماعية لتصرفات الفرد والمجتمع، وساهم في توجيه بعض مظاهر الحياة وتقويمها في العصر الجاهلي، إذ إن "العرب لم يكن يحكم حركتهم شيء ، فلم يبق غير الهجاء؛ ذلك الفن الذي يكشف عن العورات، ويهتك ما خفي من سوءات الأشراف"[12].

كما ساهم الهجاء في قيادة " حركة المجتمع العربي في الجاهلية، وهو الذي يكشف زيف الناس ، ويقوّم الانحراف ويتتبع الفساد أنى كان"[13].

وقد عرف العرب هذا الدور للهجاء فتحاشوا المثول أمام شاعر الهجاء، وأخفوا عوراتهم عن أنفسهم، ولم يجرؤ أحد أن يجاهر بما يعاب عندهم "[14].

وقد برزت في العصر الجاهلي مجموعة من العيوب التي اصطلح الناس عليها، وعُدّت في أعرافهم من المعايب التي تنقص من قيمة الإنسان، وقد أبرزها الشعراء في قصائدهم الهجائية، وظهر جلياً أثرها على المهجو، ومن هذه الصفات: الجبن والنكوص عن مواجهة الخصوم، والبخل الذي عدّ من أقبح الصفات الإنسانية لدى المجتمع العربي الجاهلي، وصفة الأنانية، وصفة الكسل وغيرها من صفات.

نشأة الهجاء في الشعر الجاهلي :

يمكن أن تكون نشأة النزوع للهجاء، بوصفه فعلا احتجاجيا يعبر عن رأي صاحبه فيما يواجه من مواقف– يمكن– أن تكون ابتداء نشأة تتبع من طبيعة النفس الإنسانية التي تميل عادة إلى إبداء الرأي المناهض والنقد والاحتجاج.

فالهجاء يرتبط ارتباطا وثيقا بنفسية الإنسان ومشاعره وأحاسيسه، فإن شعر الإنسان بأي فعل ينتقص من فعاليته، ويهدد رغباته أو يعادي آراءه، عادة ما تتكون في نفسه ردة فعل، يعبّر عن جزء كبير منها بالهجاء.

فالناس عادة ما يتفاوتون في النعم التي قسمها الله تعالى لهم كالأرزاق والفرص والأخلاق والجمال وغيرها من أرزاق، وحين يتعايشون ويختلطون، ينظرون إلى أحوالهم وأحوال غيرهم؛ فتحدث المقارنة بين ما لديهم وما لدى الآخرين، عندئذ يحدث التنافس بينهم، ذلك التنافس الذي يقوم على الموازنة والنظر في الفوارق المختلفة الإيجابية والسلبية وتقليبها، الأمر الذي يحمل الناس على التعبير بالهجاء عن احتجاجهم ورفضهم ونقدهم الموجه للآخرين، إذا ما شعروا أنهم أدنى منزلة منهم.

ويمكن أن تكون نشأة الهجاء– أيضا – مرافقة لنشأة الحروب والخلافات والنزاعات بشكل عام؛ فهو" يزدهر بازدهار الحروب وكثيراً ما كان يسبقها، وقد نشأ نشأة تشبه نشأة شعر الحماسة؛ فكثير ما يختلط الهجاء بالقصائد الحماسية ، وبخاصة الشعر الذي يتناول الهجاء القبلي "[15].

على أن الهجاء لازم الإنسان على مر العصور، وإن اختلفت وسائله وطرقه، وكان الشعر وما يزال الطريقة المثلى لفن الهجاء، وكان النثر أقل ملاءمة له، وقد استعمل على نطاق ضيق، كما في هجاء لبيد بن أبي ربيعة لبقلة تدعى التربة[16].

ولهذا؛ ارتبط الهجاء في الشعر الجاهلي بالمفاخرات، والحروب، والمنازعات والعصبيات القبلية، والحماسة.

ومن الممكن أن تكون نشأة الهجاء ذات طبيعة دينية[17] إذ روي أن لبيداً بن ربيعة، في طفولته كان في وفد من بني عامر إلى النعمان بن المنذر، وقدموه " فحلقوا رأسه، وتركوا له ذؤابتين، وألبسوه حلّة، ودهن أحد شقيّ رأسه، وأرخى إزاره، وانتعل نعلا واحدة، وكذلك كانت تفعل الشعراء في الجاهلية، إذا أرادت الهجاء، ثم قام فهجا الوفد العبسي"[18].

وفي الحياة العربية الجاهلية القائمة على الفوارق بين البشر، في ظل تعذر وجود دولة جامعة تساوي بين حقوق الأفراد، وتحفظ كراماتهم، وتعدل بينهم، وتحلّ نزاعاتهم على أساس من النزاهة والعدالة، وتحدد واجباتهم، تشكلت البيئة الحاضنة للهجاء، وقد حسب العرب حساباً عظيماً للهجاء، وحاولوا تجنبه بأقصى ما يستطيعون، ذلك أنه شعر مؤثر ينتشر بين القبائل كما تنتشر النار في الهشيم، فينتقص من كرامتهم، ويهين معنى وجودهم وشرفهم الإنساني، وقد وصف الأصمعي شعر الهجاء، في الجاهلية بأنه " نكد وبابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف "[19].

وقد وصل الأمر بالعرب الجاهليين أن يأخذوا العهد والوعد من أي شاعر يتعرض للأسر، بأن يمتنع في

مستقبل الأيام عن هجائهم، بل عمدوا إلى شدّ لسانه بِنسعة، وهي السير المضفور يجعل زماماً للبعير، كي يثبتوا الوعد ويتمّوه، فلا يتعرض لهم بالهجاء في حال الإفراج عنه، وقد فعل ذلك بنو تميم بعبد يغوث الحارثي، كما يظهر في قوله :

أَقُولُ وقد شَدُّوا لسانِي بِنِسْعَةٍ

أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عن لِسَانِيَا"[20]

وقد تركّز الهجاء الجاهلي على كلّ ما يؤلم المهجو ألماً معنويّاً جسيماً، فيسحب منه المكارم والصفات الحسنة والأخلاق الرفيعة التي ما فتئ العرب يفتخرون بها، فنجد الهجاء في جوهره معاكساً للمديح، فإن مدح شاعر رجلا بصفة الشجاعة، نجد شاعر الهجاء يسحبها منه، ويستبدلها بصفة الجبن، وإن مدح شاعر رجلا بصفة الكرم، نلاحظ شاعر الهجاء يلصق بمهجوه صفة البخل، بل قد يتعدّى الهجاء الجاهلي الرجل المهجو إلى أسرته وقبيلته، كقذف الأم والأرحام والطعن في الأعراض، على أن كثيراً من شعر الهجاء لم يكن مستقلاً في قصائد بعينها، بل نلاحظ أنه جاء من خلال أغراض المديح والفخر بالنفس والقبيلة وغيرها.

وقد يكون الهجاء في ظاهره موجهًا للشخص، وهو في حقيقته موجه للقبيلة[21] .

أنواع الهجاء في الشعر الجاهلي :

يمكن تصنيف شعر الهجاء في العصر الجاهلي بعدّة أنواع، منها:

الهجاء الأخلاقي :

وهو ما يتناول النّقائص في باب الأخلاق، فيبحث المهجو أن أي صفة أخلاقية تزري بالشخص المهجو وتعرض به وتكشف أسراره الاجتماعية والأخلاقية.

وهذا الهجاء لا يقتصر على إنسان بعينه، بل يتحدث بأسلوب سمته العمومية؛ بقصد الابتعاد عن تلك الانحرافات، أو تصوير الاشمئزاز منها[22]، ومن أمثلة الهجاء الأخلاقي؛ قول زهير بن أبي سلمى في تشكيكه وهزله، إذ يجعل (آل حصن) [23] في ضعفهم وخوفهم وهوانهم يشبهون النساء، يقول:

وما أدري وَسوفَ إخالُ أدْري

أقومٌ آلُ حصنٍ أمْ نساءُ

فإن تكن النساءُ مخبآتٍ

فحق لكل محصنة هداءُ[24]

يتمثل الهجاء الأخلاقي في كشف عيوب الآخرين التي تتصل بصفات أخلاقية محددة، كصفات الجبن والضعف والاستكانة والتأخر عن المكارم، فالشاعر في البيتين السابقين يؤكد أنه لا يدري: أرجال آل حصن – وهم أعداؤه – أم نساء..؟ ذلك أن القوم هم الرجال دون النساء، ثم يؤكد الشاعر: سوف أدري، بمعنى سأبحث عن حقيقة أمرهم، وأستقصي عن حالهم حتى أتبينها، ويقصد من ذلك الاستهزاء بهم والحط من مكانتهم، فإن اعترف آل حصن بقولهم: نعم، نحن نساء يختبئن في الخدور والحجال، فينبغي أن يزوجوا بالرجال الذين يتصفون بصفات الرجولة، ويقام لهم– كالنساء– زفافا مناسبا إلى أزواجهن.

ونلاحظ أن هذا الهجاء الأخلاقي حاول إبداء العيوب الأخلاقية للمهجو، فنفى عن آل حصن صفات الرجولة التي تتصل بالشجاعة والإقدام والتحمّل والصبر، وألصق بهم صفة الضعف التي يأنف منها المزاج العربي في الجاهلية.

الهجاء السياسي :

يتميز هذا النوع من الهجاء بكونه "يرى مثله الأعلى في حزب أو طائفة من الطوائف، أو مذهب من المذاهب، فهو يهاجم كلّ ما يتعارض مع هذا المثل

من نقائص ومعايب وأخطاء تتمثل في انتصار حزب على آخر"[25].

ويمكن الإشارة إلى أن الهجاء السياسي في نصوص الشعر الجاهلي أطلّ من تحت عباءة القبيلة بوصفها وحدة سياسية جامعة لأفرادها، وهم غالبا مجموعة أفراد ينتمون إلى كيان واحد، وينحدرون أحياناً من جدّ واحد، وفي سياق الانتماء للقبيلة والدفاع عن أفرادها ومصالحها وحاضرها ومستقبلها، ظهر الهجاء السياسي، فعبّر الشعراء به لإيصال رسائل تتضمن رفضهم واحتجاجهم على السياسيات التي فرضت عليهم، وعمدوا على إلحاق الأذى بالسلطة التي تهدد وجودهم أو تحارب منجزاتهم أو تفرض عليهم قيودا وشروطا تحدّ من حريتهم ولا يرغبون بتنفيذها.

فهو متصل من جهة بالدفاع عن وحدة سياسة قائمة ولها نظامها وأعرافها وهي القبيلة، وموجه من جهة أخرى نحو سلطة سياسية مقابلة تريد فرض قوانينها وأنظمتها بما يخدم مصالحها ويضمن استمرارها، وعند تضارب المصالح بين السلطتين يحدث الهجاء، وفي الغالب ما يظهر لدى الطرف الأضعف الذي يرى أن حقوقه هضمت، وتعرض للظلم من الطرف الأقوى.

ومن نماذج هذا الهجاء هجاء يزيد بن حذاق الشّني [26] للنعمان بن المنذر؛ بسبب المعاناة التي عاشها الشاعر و قبيلته جراء الظروف السياسية الصعبة التي فرضت على قبيلة عبد القيس وقيدتها؛ حيث أجبروا على دفع المكوس[27] و هي الضرائب التي تشبه (الجمارك) في عصرنا، وقد كانت تفوق قدرتهم واحتمالهم.

ولأن الشاعر يُمثل الضمير السياسي (الوطني) لقبيلته وصوتها المدافع عنها، فقد كشف يزيد بن حذاق الشنّي عن رفضه هذا الظلم، وهذه المعاملة السياسية القاسية من قبل النعمان بن المنذر؛ مستخدماً فنّ الهجاء، يقول الشاعر:

تَحلَّلْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ من قولِ آثِمٍ
على مالِنَا لَيُقْسَمَنَّ خُمُوسَا[28]
إِذَا ما قطَعْنا رَمْلةً وعدَابَهَا
فإِنَّ لَنَا أَمْراً أَحَذَّ غَمُوسَا
أَقِيمُوا بَنِي النُّعْمانِ عنَّا صُدُورَكُم
وإِلاَّ تُقِيمُوا كارِهِينَ الرُّؤُوسَا
أَكُلُّ لَئِيمٍ مِنْكُمُ ومُعـلْهَجٍ
يَعُدُّ علينا غارَةً فَخُبُوسَا
أَلاَ ابْنَ المُعَلَّى خِلْتَنَا وحسِبْتَنَا
صَرَارِيَّ نُعْطِي الماكِسِينَ مُكُوسَا
فإِنْ تَبْعَثُوا عيْناً تَمَنَّى لِقَاءَنا
تَجِدْ حَوْلَ أَبْياتِي الجَميعَ جُلُوسَا[29]

في هذه الأبيات يرفض الشاعر ممارسات النعمان بن المنذر وسياساته، ومعه ذلك الرجل (الجابي) الذي يرسله، ويطالب الشاعر بالكف عما فرضه النعمان وأعوانه من ضرائب وأموال، أثقلت كاهل الشاعر وقومه.

وثمة صرخة احتجاج أخرى للمرقش الأكبر بوجه النعمان بن المنذر، و قد أبدى له من الجرأة والقدرة ما يثبت قوته، وبيّن له بشكل واضح أنه لا يكترث بظلمه وبسياساته غير المنصفة، يطلق الشاعر صرخته، ولا ينسى في سياقها أن يفخر بإبائه وشموخه وشجاعته ورفضه للاستسلام لتلك السلطة السياسية الطاغية، يقول الشاعر :

أَبْلِغَا المُنْذِرَ المُنقِّبَ عَنِّي
غيرَ مُستَعْتِبٍ ولا مُستَعِينِ
لاَتَ هَنَّا ولَيْتَنِي طَرَفَ الزُّجِّ
وأَهْلِي بالشَّأْمِ ذَاتِ القرُونِ

بِأمْرِءٍ ما فَعَلْتَ عَفٌّ يَؤُوسٍ
صَدَقَتْهُ المُنَى لِعَوْضِ الْحِينِ
غيرَ مُسْتَسْلِمٍ إذا اعْتَصَرَ العَاجِزُ
بالسَّكْتِ في ظِلاَلِ الهُونِ
يُعْمِلُ البَازِلَ المُجِدَّةَ بِالرَّحْلِ
تَشَكَّى النِّجادَ بَعْدَ الحُزُونِ
بِفَتىً ناجِفٍ وأَمْرٍ أَحَذٍّ
وحُسَامٍ كالمِلْحِ طَوْعِ اليَمينِ[30]

فالشاعر في هذا الهجاء يرفض الواقع السياسي المفروض عليه؛ إنه هجاء الغضب والثورة والتمرّد ورفض الانصياع للسلطة المعادية، وهذا ما يحرك موهبة الشاعر، ويساهم في تثوير حميّته، وربما تكون في الوقت نفسه " ثورة إيجابية تتوخى البناء و تنشر التقويم "[31].

الهجاء القبلي :

من الممكن أن تكون نشأة الهجاء– أساسا– مرتبطة بالعصبيات القبلية، وما تثيره من حروب وأحقاد ونزاعات وخلافات، وموقع الشاعر في هذه الحالة: لسان قبيلته؛ يذبُّ عنها ويهجو خصومها أشدّ الهجاء، ويدافع عن ممارساتها المتصلة بالعصبية القبلية، مؤكدا أحقيتها في كافة ما يصدر عنها من أفعال.

ولهذ يرتبط الهجاء بالفخر من ناحية، وبالمدح من ناحية أخرى، بالفخر: عندما يكون الهجاء قبليا تحركه الحروب والنزاعات أو رغبات الانتقام والثأر، فبالقدر الذي يفخر به الشاعر بأفعال قبيلته نلاحظ أنه بالقدر نفسه أو أكثر؛ يحطّ من الطرف المعادي للقبيلة، وينزع عنه كل الصفات النبيلة التي أثبتها في قبيلته.

ويرتبط الهجاء بالمديح حين يتوجه الشاعر إلى مدح شخص يرجو نواله والقرب منه؛ فيلجأ إلى حيلة فريدة من نوعها هي تذكّر أعداء هذا الممدوح وخصومه، فيحمل عليهم في شعره ويعرض بهم، ذاكراً مناقصهم وأفعالهم القبيحة، فيسعد الممدوح بهذا الاستهلال، ثمّ بعد ذلك يبدأ الشاعر بمديح صاحبه، وربما يكون الهدف النهائي للشاعر الحصول على المال والأعطيات والمكافآت.

ومن أمثلة هذا النوع؛ ما دار على هامش حرب (داحس والغبراء) بين قبيلتي عبس وذُبيان، وكانت أحداثها كثيرة الحوادث والقصص.

وأثناء تلك الحرب الطويلة، قيلت معلقة عنترة العبسي، وفي أعقابها قيلت معلقة زهير بن أبي سلمى التي يمدح فيها الحارث بن عوف، وهرم بن سنان اللذين أنهيا الحرب بالصلح، وتحمّلا ديات القتلى، ومن أيامها يوم (الرقم) لغطفان على عامر[32] وقد كان النابغة الذبياني قد ردّ على هجاء زرعة العامري تأييداً للحلف الذي كان بين قومه الذبيانيين وبين بني أسد، وقد ردّ عامر بن طفيل على هجاء النابغة قائلاً:

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي زِياداً
غَداةَ القَاعِ إذ أزِفَ الضِّرابُ
فإنّ مِظَنّةَ الجِـلْمِ التأنّي
على مَهْلٍ، وللجهلِ الشبابُ
فإنّ مقالتي ما قد علمتهم
وخيلي قد يحلّ لها النّهابُ[33]

ويبدو أن هذا النوع من الهجاء يتجاوز الهجاء الشخصي والفردي، ليشمل القبيلة بكاملها؛ رجالها ونساءها وصغارها وكبارها وكل ما يتعلق بها، فمن النظرة الأولى يبدو هجاءً موجهاً لشخص واحد هو النابغة الذبياني، ولكننا نلاحظ أن الهجاء موجه لقبيلة النابغة بكاملها.

أما عنصر الصدق في مثل هذا الهجاء؛ فيبدو أقلّ إقناعاً للمتلقي من الأنواع الأخرى، لأنه بطبيعته

شعر تحكمه المبالغات والتطرف واللجوء للكذب والادعاء وتزوير الحقائق وتشويهها، ويحكمه – أيضاً – البحث عن إلصاق الصفات القبيحة بالمهجو أياً كانت، يتم ذلك في مُناخ تسوده عواطف الانتقام والرغبة بفضح الطرف المهجو وقبيلته والنيل منهم، كما يمكن القول: إنه هجاء قائم على الفعل وردّ الفعل في بيئات العرب الجاهلية القائمة على المنازعات والخلافات والمناوشات الحروب.

ورغم أن شعر الهجاء قد يقول شيئاً من الحقيقة السّياسية والتاريخية والاجتماعية، ويسجل طرفاً ولو يسيراً مما يجري من أحداث، إلا أن هذه الحقيقة ممزوجة بكثير من المغالطات والمهاترات والتشويه، وتشوبها المبالغات النابعة من حالة الكراهية بين طرفيّ الهجاء.

فقد ينطلق الشاعر – مثلاً– من صفة حسنة يجلّها الناس، ويعدّونها من الصفات المحمودة، فيعمد شاعر الهجاء إلى صفتها الأخرى المعاكسة، فيحيل الصفة الحسنة إلى صفة منفّرة وقاتمة، فالشاعر يتحين الفرص للانقضاض على خصمه دون رحمة، سلاحه اختلاق الحجج الواهية للحط من خصومه، وعندئذ تتبدل المكارم إلى أضدادها.

ومن أمثلته هجاء عنترة بن شداد العبسي لقبيلة بني ضبة، وتميم، وقد استطاعت قبيلة عبس هزيمتهم، فكان حالهم أن تركوا نساءهم وهربوا، ومن هؤلاء النساء من هي حامل أو مرضعة أو حديثة الولادة، يقول الشاعر :

فخلُّوا لنا عُوذَ النِّساءِ وَجبَّبُوا
عباديدَ منهم مُستَقيمٌ وجَامحُ
وكلَّ كعوبٍ خدلة السَّاق فخمة
لها مَنْبتٌ في آلِ ضَبَّة طامحُ
تركنا ضراراً بين عانٍ مكبَّل
وبين قَتيلٍ غاب عنهُ النَّوَائحُ
وعمْراً وَحيَّاناً تَرَكْنا بقَفْرَة
تعودهما فيها الضّباعُ الكوالح[34]

أما بشر بن أبي خازم الأسدي؛ فيهجو كلا من قبائل: الرباب ونمير، وبني كلاب، وسليم، وأشجع، وقد ساق لكل قبيلة عددا من المعايب، مذكرا أن قبيلته (بنو أسد)هي الأكثر إقداما وتفوقا، ذلك أن النميريين اختاروا الفرار من ساحة الوغى، تبعتهم قبيلة بني كلاب.

أما قبيلة بني سليم، ففزعت وأصابها الذعر من هول ما رأت من قوة بني أسد ، وأما قبيلة بني أشجع فقد جعلها الشاعر بين الذكورة والأنوثة(خنثى) يقول الشاعر:

وَبُدِّلَتِ الأَباطِحُ مِن نُمَيرٍ
سَنابِكَ يُستَثارُ بِها الغُبارُ
وَلَيسَ الحَيُّ حَيُّ بَني كِلابٍ
بِمُنجيهِم وَإِن هَرَبوا الفِرارُ
وَقَد ضَمَزَت بِجِرَّتِها سُلَيمٌ
مَخافَتَنا كَما ضَمَزَ الحِمارُ
وَأَمّا أَشجَعُ الخُنثى فَوَلَّوا
تُيوساً بِالشَظِيِّ لَها يُعارُ[35]

وعندما ألحق بنو أسد الهزيمة ببني عامر في يوم (النسار[36]) هجا بشر بن أبي خازم الأسدي العامريين، وقد غادروا نساءهم المرضعات سبايا لدى قبيلة الشاعر، وقد كانت النساء يشعرن بخوف شديد، وفزع لا مثيل له، يقول الشاعر: هاجيا العامريين، معيرا إياهم بتركهم لنسائهم من المرضعات سبيا لدى بني أسد، وقد كانت فرائص تلك النسوة ترتعد من شدة ما أصابهن من هلع وفزع، ومن المصير المجهول الذي سيؤلن إليه:

بَنِي عامِرٍ إِنَّا تَرَكْنا نِساءَكمْ
مِنَ الشَّلِّ والإِيجافِ تَدْمَى عُجوبُها

عَضَارِيطُنا مُسْتَبْطِنو البِيضِ كالدُّمَى
مُضرَّجَةً بالزَّعْفرانِ جُيُوبُهَا
تَبِيتُ النِّساءُ المُرْضِعاتُ برَهْوَةٍ
تَفَزَّعُ من خَوْفِ الجَنانِ قُلوبُهَا[37]

الهجاء الجمعي[38]:

ويتمثل هذا النوع من الهجاء في تجربة الشنفرى[39]؛ الشاعر الذي عُرف بتعرية سلبيات المجتمع، وانتقاد طبائع الناس، حين تنحدر إلى مستويات متدنية، وتبتعد بهم عن طبيعتهم الإنسانية، ويتجلّى ذلك في قوله:

أقيموا بني أمي ، صدورَ مَطِيكم
فإني ، إلى قومٍ سِواكم لأميلُ !
فقد حمت الحاجاتُ ، والليلُ مقمرٌ
وشُدت ، لِطياتٍ ، مطايا وأرحُلُ؛
وفي الأرض مَنْأىً ، للكريم ، عن الأذى
وفيها ، لمن خاف القِلى ، مُتعزَّلُ
لَعَمْرُكَ ، ما بالأرض ضيقٌ على أمرئٍ
سَرَى راغباً أو راهباً ، وهو يعقلُ
ولي ، دونكم ، أهلونَ : سِيْدٌ عَمَلَّسٌ
وأرقطُ زُهلول وَعَرفاءُ جيألُ
هم الأهلُ ، لا مستودعُ السرِّ ذائعٌ
لديهم ، ولا الجاني بما جَرَّ ، يُخْذَلُ [40]

إنه هجاء ساخط وموجه للمجتمع بكافة أطيافه، يشمل الناس الذين يحيطون بالشاعر، ويعيش معهم، ابتداء من عائلته مروراً بالأقارب وصولاً إلى المجتمع، ومثل هذا الهجاء، يُعرف في عصرنا بنقد سلبيات المجتمع عامة، ويُعدّ الشنفرى رائد هذا النوع من الهجاء؛ فلم يعرف به أحدٌ من الشعراء قبل الشنفرى، وهو هجاء يكشف عن رفض الشاعر للوسط الاجتماعي من حوله، وهذا أحد الدوافع التي جعلته يهاجم كل المجتمع بأعرافه وطباعه وأخلاقه التي انحدر إليها فوصل هذا المجتمع إلى الحضيض من وجهة نظر الشاعر، ولهذا حدثت القطيعة بينه وبين الشاعر.

ولم يكتف الشاعر بتلك القطيعة بل عرّى مجتمعه وبين سبب اتخاذه هذا الموقف الذي قاطع فيه مجتمعه بعد أن انحدر إلى مستوى لم يعد فيه الشاعر قادراً على العيش معه[41] .

المبحث الثاني:

الهجاء الشخصي :

وهو الهجاء الذي يعتمد على هجاء الأفراد، ويعدّ من أقدم أنواع الشعر الهجائي، وقد يتأثر هذا النوع بالصفات الشخصية، وقد " يبتعد عن العدل والإنصاف، وهو أقرب إلى الشتم، وأدنى إلى أن يتورط في الفحش"[42].

تناول الشعراء الجاهليون في هجائهم الشخصي كلّ ما يمكن أن يُسقط مهجويهم أخلاقياً واجتماعياً ونفسيّا؛ فذهبوا إلى الحطّ من قيمتهم، واغتيال أشخاصهم الاغتيال المعنوي الفادح، وبذلك سُلبت منهم جميع الفضائل التي ظل العربي يتفاخر بها ويعتزّ، ولا تقتصر تلك الفضائل على قيم النسب والشجاعة والكرم، وطهارة اليد، وعفة النفس، وصفاء السريرة، أو الخصال التي حددها قدامة بن جعفر في قوله:" العقل والشجاعة والعدل والعفة" [43] بل تعدّى الهجاء إلى إظهار العيوب الجسدية والخَلْقيّة التي لم يتدخل العربي في إظهارها في جسده، بل ولدت معه.

ويقسّم ابن طباطبا العلوي الفضائل التي ذكرها قدامة بن جعفر إلى قسمين في قوله:" الخلال المشهورة كثيرة؛ منها في الخُلق الجمالُ والبسطة، ومنها في الخُلق السخاء والشجاعة، والحلم والحزم والغيرة، والصدق، وما يتفرع منها"[44]. وهي الخلال التي

ذكرها الشعراء في مديحهم أو هجائهم، فقد أثبتوا هذه الخصال لممدوحيهم، وسلبها شعراء الهجاء من مهجويهم.

وقد حددّ ابن رشيق القيرواني طبيعة الهجاء الشخصي، باعتماده على سلب المهجو فضائله النفسية والمعنوية في قوله: " وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية، وما تركب من بعضها البعض، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب ، فالهجاء به دون ما تقدم "[45].

ويرى عباس بيومي عجلان " أن الهجاء الشخصي أصل الهجاء، ومنه نما وتطرق إلى موضوعات أخرى، فالإنسان في علاقته اليومية يصادف أشخاصًا يزورّ عنهم، وأشخاصًا يقبل عليهم [46].

وقد تعددت الأسباب التي جعلت الشعراء يقبلون على الهجاء الشخصي، منها ما يكون له صلة بطبيعة النفس البشرية التي إن أصابها ما يهدد وجودها تحتج وتثور وتقاوم وتتصدى للسبب الذي يهددها في محاولة منها لهزيمته والتغلب عليه ومحوه، ومنها أسباب تتعلق بالأحقاد والتنافس غير المتكافئ بين البشر والخصومات وغيرها.

وسيناقش هذا المبحث أبرز العيوب والرذائل التي ذمها الشعراء في مهجويهم، وقد جاءت على نمطين:

- هجاء يتعلق بالعيوب الخُلقية.
- هجاء يتعلق بالعيوب الخلقية:

أولا :الهجاء المتعلق بالعيوب الخُلقية:

يتضمن الهجاء المتعلق بالعيوب والصفات الخُلقية عددا من الصفات التي تتعلق بأخلاق الناس ومنها: العيوب المتعلقة بالأنساب، وعيوب صفة البخل، وعيوب صفة الذلة والهوان والضعف والاستكانة، وعيوب تتعلق بصفة الأنانية وحب الذات، وعيوب تتعلق بصفات الغدر والخيانة والخداع والاستعلاء، وغيرها.

هجاء يتعلق بالأنساب:

يُعد النسب الكريم من أهم ما اعتنى العرب به في حياتهم، فافتخروا بأجدادهم وأصولهم ومنابتهم وتاريخهم القديم الغابر، ذاكرين مآثرهم وأفعالهم الكريمة التي توارثها الأبناء عن آبائهم وأجدادهم، ومن فرط حرصهم على نقاء عرقهم القبلي، لم ينسبوا أبناءهم من غير زوجاتهم الحرائر، ليبقوا على هامش الحياة معزولين عن مجتمعهم وأهلهم، منهم من انحرف نحو الصعلكلة كالشنفرى، ومنهم من جاهد طوال حياته ليثبت لهم أن النسب لا يؤثر في الشجاعة والرجولة والإقدام كما حدث مع عنترة العبسي، وقد افتخر زهير بن أبي سلمى بنقاء نسبه، فهو صريح لم تلده أمةٌ، ولم يُحتمل "في حِجْر سوداءَ"[47].

وقد تميز العرب عن غيرهم من الأمم بكونهم "الأمة الوحيدة التي جعلت من الأنساب عِلمًا يُؤلِّف فيه العلماءُ الكتب"[48].

ومن المؤسف أن يشيع في الثقافة الجاهلية أن الإنسان "الهجين ليس بذي دين ولا بذي أمانة" [49]كما ورد في شعر حسان بن ثابت.

يُعدُّ هجاء الأنساب ذا طبيعة حوارية؛ بحيث يهجو شاعر شاعراً آخر، ثم يرد عليه الشاعر المهجو هاجياً الشاعر الأول، وينتج عن ذلك حوار ومبارزة كلامية متّصلة يتركز جهدها في هدف واحد هو إثبات النسب الكريم، ثمّ يأتي الرد المقابل الذي يحاول جاهداً أن ينفي النسب الكريم، كل هذا لإظهار القدرة على كشف العيوب، كما يحاول كل طرف في الهجاء أن يتفوق على الطرف الآخر، من خلال ما يحدثه هجاؤه من ضربات موجعة في الأصول والمنابت ، وقد حدث هذا بين أمية بن خلف الخزاعي، وحسَّان بن ثابت[50]، يقول أمية:

ألا مَنْ مُبلغ حسانَ عني
مغلغلةً تدبُّ إلى عكاظِ
أليسَ أبوكَ فينا كان قَيْناً
لدى القينات فَسْلاً في الحفاظِ
يمانياً يظلُّ يشـــدُّ كيراً
وينفخُ دائباً لَهَـــبَ الشّواظِ[51]

يهجو أمية بن خلف حساناً بن ثابت هجاء شخصياً لاذعاً، واصفاً حسان بأن أباه كان قيناً، غير أن حساناً بن ثابت يردّ عليه ويكذبه نافياً زعمه، بل يهدده بالتشهير به في عكاظ مجمع العرب، وأن هذا التشهير سيكون بواسطة شعر هجاء أليم يسير في الأقطار ويكسبه العار، يقول حسان بن ثابت:

أتاني عن أميَةَ زورَ قولٍ
وما هو بالمغيّبِ بذي حفاظِ
سأنشرُ إن بقيتُ لكم كلاماً
يُنَشّرُ في المجامع من عكاظِ
قوافي كالسِّلامِ إذا استمرتْ
من الصمِّ المعجرفةِ الغِلاظِ
تزورك إن شتوتَ بكلِ أرض
وترضخ في محلك بالمعاظِ[52]

ولا غرابــة أن يكــون الهجــاء الشخصـــي المتصـــل بالأنساب مؤلماً أشدّ الألم للشعراء ، فصنيعة العربي كانت دوماً التغني بآبائه وأجداده، ناسباً لهم الفعال الكريمة التي لم يسبق إليها أحدٌ غيرهم، كما أن طبيعة العربي المتعلقة بالاعتداد بالنفس والفخر بها والتغني بها، لما توفّر في ذلك العصر من الحريات الفرديـــة المطلقـــة، فالمكـــان الفســـيح المتمثـــل فـــي الصحراء يشعر الجميع بامتلاكه لها، وأنه أحق من غيره في السيطرة على أكبر قدر ممكن من الامتداد المكاني الفسيح، الأمر الذي يترتب عليه نموّ الذات الفردية وانتفاخها، والاعتداد بالحرية والنسب الكريم.

ومما يروى أن الحطيئة كان نَسَبه غامضاً، فقد اضطربت حوله الأقوال، فمنهم من قال إن نسبته يعود لبني عبس، ومنهم من قال إنه من قبيلة ذُهل، وورد أن الحطيئة قَدِم مرة على بني ذُهل وطلب ميراثه من الأفقم، غير أنه كان دائم الإحراج لأمه إذ يسألها عن أبيه: وكانت تخلط عليه الأمور، ولا تقدم له الجواب الشافي؛ فتريحه بالحقيقة.

ولهذا نرى الحطيئة يشعر بحنق كبير تجاه أمه، ولا يتوانى عن هجائها، لأنها ساهمت في نكران المجتمع لنسبه، كونها أمة، وامرأة لم تكن حرة، يقول في هجاء أمه:

تقول ليَ الضرّاءُ لستَ لواحدٍ
اثْنَيْنِ فانظرْ كيف شِرْكُ أولئكا
وَأَنتَ اِمرُؤٌ تَبغي أَباً قَد ضَلَلتَهُ
هبلت ألما تستفق من ضلالكا[53]

كما طالب الحطيئه بأن ينتسب إلى بني ذهل، ويترتب على ذلك حصة له وحق في الميراث، وعلى إثر مطالبته وإلحاحه المستمرين، تعاطف معه بنو الأفقم، ومنحوه ثلاث نخلات، سميت بنخلات أم مليكة (امرأة الحطيئة)غير أن الشاعر لم يقتنع بهذه المنحة فأخذ يطالبهم بالمزيد من ميراثه ويلح على تسلّمه كاملا، إلى أن امتنع عليه بنو الأفقم؛ فثار عليهم، وهجاهم هجاء مقذعا مردّه قصور في معاملتهم التي لا تنصف نسبه[54]، يقول :

لأمدحنَّ بمدحةٍ مذكورةٍ
أهْلَ القُرَيَّةِ من بني ذُهْلِ
الضَّامِنينَ لمالِ جَارِهِمُ
حَتَّى تَتِمَّ نَوَاهِضُ البَقْلِ
قومٌ إذا نُسِبُوا فَفَرْعُهُمُ
فَرْعِي وأَثْبَتَ أصْلُهُم أصلي[55]

كما نلاحظ المتلمس[56] يهجو الحارث بن التوأم اليشكري[57]، وكان قد سأله عمرو بن هند[58]عن نسب المتلمس، فردّ الحارث: أواناً يزعم أنه من بني يشكر، وأوانا يزعم أنه من بني ضبعة، فقال عمرو: ما هو إلا كساقط بين الفراشين، فبلغ ذلك المتلمس[59]، وقد كان يعيش مع أخواله بني يشكر الربعيين، حتى كادوا يغلبون على نسبه، يقول المتلمس :

أَحارِثُ إنَّا لَو تُشاطُ دِماؤُنا
تَزَيَّلنَ حَتَّى لا يَمَسَّ دَمٌ دَما
أَمُنتَقِلاً مِن آلِ بُهثَةَ خِلتَنِي
أَلا إِنَّنِي مِنهُم وَإِن كُنتُ أَينَما
أَلا إِنَّنِي مِنهُم وَعِرضِيَ عِرضَهُمُ
كَذي الأَنفِ يَحمِي أَنفَهُ أَن يُكَشَّما
وَإِنَّ نِصابِي إِن سَأَلتَ وَأُسرَتِي
مِنَ النَّاسِ حَيٌّ يَقتَنونَ المُزَنَّما
وَلو غَيرُ أَخوالِي أَرادُوا نَقيصَتِي
جَعَلتُ لَهُم فَوقَ العَرانينِ ميسَما
وَهَل لِيَ أُمٌّ غَيرُها إِن تَرَكتُها
أَبَى اللهُ إِلاَّ أَن أَكونَ لَها ابنَما
فَأَطرَقَ إِطراقَ الشُّجاعِ وَلو يَرَى
مَساغاً لِنابَيهِ الشُّجاعُ لَصَمَّما[60]

هجاء يتعلق بصفات البخل :

اتخذ شعراء الهجاء الجاهليون من الصفات الأخلاقية مصادر غنية لقصائدهم الهجائية ؛ فراحوا يستخلصون منها صورًا ساخرة لإلحاق الأذى الاجتماعي والنفسي والمعنوي بخصومهم.

وكانت صفة البخل من أبرز الصفات التي لجأ إليها الشعراء الجاهليون في أهاجيهم، وشكلت عتادا ملائما لسهام شعرهم القاتلة.

ذلك أن العربي يُعرف بحرصه على إكرام ضيوفه، ويُعدّ ذلك مكرمة أخلاقية من الواجب أن يحافظ عليها ، ولو مرّ بظروف صعبة ، تجنبًا لألسنة الهجائين، ومنعهم من نشر نقائصه وعيوبه، فهو يعلم أن شعرهم قادر على نقل أخباره في الآفاق، فيصبح ذكره دارجاً على ألسنة الناس الذين يرددون قصائد الشعراء، وهكذا تصل عيوبه إلى كافة شرائح المجتمع، فتتشوه صورته عندئذ، ويحط من قدره ومكانته.

وقد عُرف عن العرب أنهم يذودون عن أعراضهم من ألسنة الناس بجودهم وبذلهم وعطائهم؛ فيستخدمون عامل المال: من بذل وإكرام الضيف والمعاملة الحسنة؛ وقاية لأعراضهم من ألسنة الناس والشعراء منهم خاصة، ويتجلى هذا السلوك العربي من خلال قول حاتم الطائي:

ذَرِيني يكُنْ مالي لعِرْضِيَ جُنّةً
يَقي المالُ عِرْضِي، قبل أن يَتَبَدّدا
أرِيني جَواداً ماتَ هَزْلاً، لَعَلّني
أَرَى ما تَرَينَ، أوْ بَخيلاً مُخَلَّدا[61]

فالشاعر يرى أن بذل المال يكسبه الحمد، وينجيه من ألسنة الناس التي تبحث عادة عن أي منقصة مهما كانت صغيرة، فيتم تناقلها ونشرها بينهم والزيادة عليها، فتتردّى عندئذ مكانة الشاعر وتتراجع في عيون مجتمعه.

وقال طرفة بن العبد يهجو ابن عمه عبد عمرو بن بشر، ويقرن سيرته بصفة البخل:

وأنتَ امرُؤ منّا، ولَستَ بخَيرِنا
جَوَاداً على الأقصى، وأنتَ بخيلُ
فأصْبَحْتَ فَقّعاً نابتاً بقَرارَةٍ
تَصَوَّحُ عنه، والذّليلُ ذليلُ[62]

فالشاعر يصف المهجو صراحة بأنه رجلٌ بخيل، وهذه الصفة تؤذي المهجو إيذاءً بليغاً، وتنال من هيبته بين الناس الذين سيصلهم قول الشاعر.

أما المتلمس فيتعرض لملك الحيرة عمرو بن هند بالهجاء، على إثر الصحيفتين اللتين كتبهما الملك له ولطرفة بن العبد، وأمرهما بالذهاب إلى عامله في البحرين، لأنه أمره أن يصلهما بالجوائز والعطايا، غير أن في الصحيفتين أمرا بقتل الشاعرين، وعندما اكتشف المتلمس هذه الحيلة، قام بهجاء عمرو بن هند، واصفا إياه بالغدر والبخل :

ورهنتني هنداً وعرضُكَ في
صُحف تلوحُ كأنها خَلَلُ
شر الملوك وشرهم حسباً
في الناس من علموا وومن جهلوا
الغدر والآفات شيمته
فاقهم فعرقوبُ له مثل
بئس الفحولة حين حدثهم
عرك الهجان وبئس ما بخلوا
أعني الخؤولة والعمومة فهم
كالطين ليس لبيته حول[63]

أما الأعشى فقد هجا علقمة بن علاته، في قصة ادعائه أنَّ الحكَمَ أقرَّ لعامر بن الطُّفيل على علقمة بن عُلاثة، ونظم قصيدة طويلة، امتدح فيها عامراً وهجا علقمة هجاء لاذعا، يقول واصفا علقمة بالبخل الشديد:

علقم.. ماأنتَ إلى عامرِ
النَّاقضِ الأوتارِ والواترِ
ولستَ في السِّلمِ بذي نائلٍ
ولستَ في الهيجاءِ بالجاسرِ
ولستَ بالأكثرِ منهمْ حصاً
وإنَّما العزَّة للكاثرِ[64]

وما يؤلم المهجو أشدّ الألم أن يوصف بالبخل الشديد في أوقات الرّخاء والسلم وتوفر الطعام، يضاف إلى البخل الجبنِ والخوف من الحرب، وكأنه وحيد ومنعزل عن البشر ولا قومَ له.

وهذا الأعشى -أيضا- يذكر الحارث بن وعلة، وكان قصده فلم يكرمه، فبادره الأعشى هاجيا :

أتيت حريثا زائرا عن جنابة
فكان حريث عن عطائي جامدا[65]

وهكذا يصبح ذكر المهجو(الحارث بن وعلة) ووصفه بالبخل دارجا على ألسنة الناس، فيساهم هذا في التقليل من مكانته، ونلاحظ أن الشاعر قام بتصغير (الحارث) إلى (حريث) بقصد تحقير المهجو، الذي لم يقم بواجب إكرام الضيف.

ووصل الحال بالعرب أن يعدّوا ترك الإبل دون حلب، من العيوب التي تدل على البخل في عرف الجاهليين، يقول عامر بن الطفيل هاجيا القوم، ويعيرهم ببخلهم وانصراف الناس عن الزواج بنسائهم ، يقول:

سود صناعية إذا ما أوردوا
صدرت عتومهم ولما تحلب[66]

كما يسخر الأعشى من البخيل الذي يفزع عندما يأتيه الضيف، فتصيبه الدّهشة العظيمة يخالطها الخوف الشديد؛ فكأنما يرى أمامه أسداً أو أفعى، يقول:

إذا زَارَهُ يَوْماً صَدِيقٌ كَأَنّمَا
يرى أسداً في بيتهِ وأساودا[67]

ويشبه طرفة بن العبد البخيل بالـ(حرمل) الذي يمتنع أكله، وبالأرض الجرداء عديمة الخير والإنبات، يقول:

همُ حرملٌ أعيَا على كلّ آكلٍ
مُبِيرٌ، ولو أمْسى سَوَامُهُمُ دَثْرَا
جمادٌ بها السباس ترهصُ معزُهَا
بناتِ اللّبونِ والسَّلاقمةَ الحُمرا[68]

ويهجو أوس بن حجر بني الأبرص الذين لم يطعموا ضيفهم، بل قدموه أمامهم للحرب واصفاً إياهم بالبخل والجبن وامتهان كرامة الضيف، وهي صفات من أقذع الأوصاف على الوجدان العربي الذي

يجاهد جلّ حياته لينجو من هذه الصفات القبيحة، يقول الشاعر:

باتوا يُصِيبُ القَوْمُ ضَيْفاً لهُمْ
حتى إذا ما ليلُهُمْ أظلما
قروْهُم شهباءَ ملمُومَة
مثلَ حريقِ النّارِ أوْ أضرَمَا
وَاللهِ لَوْلا قُرْزُلٌ إذْ نَجَا
لكانَ مثوَى خدِّكَ الأخرمَا[69]

لقد كان امتناع البعض عن العطاء، ومد يد العون للحطيئة، سبباً كافياً للتعريض بهم، ووصفهم بأقبح الصفات، يقول الحطيئة:

فأمّا بجادٌ رهطُ جحشٍ فإنَّهمْ
على النّائباتِ لا كرامٌ ولا صبرْ
إذا نهضت يوماً بجادُ إلى العلا
أبى الأشمط المزهوق والنَّاشىء الغمرْ
تدرُّون إن شدَّ العصابُ عليكمُ
ونَأْبَى إذا شُدَّ العِصابُ فما نَدُرّ
نعامٌ إذا ما صيح في حجراتكم
وأنتمْ إذا لم تسمعوا صارخاً فما دثرْ
ترى اللّؤم منهم في رقابٍ كأنّها
رِقَابُ ضِبـَاعٍ فَوْقَ آذانها الغَفَرْ
ومنّا المحامي منْ وراء ذماركم
ونمـنع أخراكمْ إذا ضيِّع الدُّبرْ[70]

ألحق الشاعر ببني بجاد كلّ صفة يمكن أن تصور معاني الذلّة والمهانة لهم، ومن الواضح أن هذه الصور تحركها خلفية نفسية غاضبة وساخطة وحاقدة على هؤلاء القوم ، فوصفهم بالبخل ؛ وهو صفة شخصية بالغة الأذى، وكذلك وصفهم الشاعر بالضعف والجبن ؛ فهم كالّنعام لا يلوي بعضهم على بعض إذا صرخ أحدٌ بهم، وهم في الوقت نفسه، غلاظ الأعناق كالضباع المسنة، لم تهزل أجسادهم الحروب ولا النوائب ومصائب الدّهر فقد دأبوا على تجنب أي خطر أو اشتباك في معركة، ورضوا بالمهانة تحف بهم. ويقول الشاعر فيهم أيضا:

قَبـَحَ الإلَهُ بني بِجادٍ إنَّهُمْ
لا يصلحون وما استطاعوا أفسدوا
بُلْدُ الحَفِيـْظَةِ وَاحِدٌ مَوْلاهُمُ
جمدٌ على منْ ليس عنه مجمدُ
أغْمارُ شُمْطٍ لا تَثُوبُ حُلومُهُمْ
عند الصباح إذا يعودُ العوَّدُ
فإذا تقطّعتِ الوسائلُ بَيننا
فِيما جَنَتْ أيْدِيهمُ فَلْيَـبْعُدُوا
مَنْ كانَ يَحمدُ في القِرى ضيفانهُ
فبنوا بجادٍ في القرى لم يحمدوا[71]

يبدو واضحاً سخط الشاعر وغضبه على بني بجاد، من خلال هجومه عليهم بهذه الحدة، فهو لم يترك لهم صفة جميلة تلحقهم بما عرف عن العرب من كرم ونجدة وعزّة وشجاعة وغيرها من صفات إلا ونفاها عنهم: فهم يفسدون بين الناس بدل أن يصلحوا، وهم البخلاء على من لا ينبغي أن يبخل عليه، وهم (جمد) انعدمت فيهم رجاحة العقل وسداد الرأي، لا يكرمون الضيف ولا يحرصون على وصل حبال المودة مع غيرهم، وإذا كان يهجو القوم بهذه القسوة لعدم إجابتهم المحتاج وعدم إكرامهم الضيف، فهو نفسه لا يمتلك من صفات الكرم والسخاء ما يجعله مخولا لاستقبال الضيوف وإكرامهم. يقول في الضيوف الذين نزلوا عنده:

وسَلّمَ مَرَّتَيْنِ فَقُلْتُ مَهْلاً
كَفَتْكَ المَرَّةُ الأولى السَّلاَما
ونقنقَ بطنهُ ودعا رؤاساً
لما قد نال من شَبعٍ وناما[72]

كما نزل عنده رجل من بني أسد؛ واسمه صخر بن أعيا، فقراه الحطيئة مضطرا، ولكنه لم يتأخر عن هجائه في قوله:

لمّا رأيتُ أنّ ما يبتغي القرى
وأنّ ابن أعيا لا محالة فاضحي
سددت حيازيم ابن أعيا بشربة
على ناقة شدتْ أصول الجوانح
وما كنتُ مِثْلَ الهالِكِيِّ وعِرْسِهِ
بَغَى الوُدَّ مَطْرُوفَةِ العَيْنِ طامِحِ
غدا باغياً ينوي رضاها وودِّها
وغابتْ له غيبَ امرىءٍ غير ناصحِ
دعت ربّها ألا يزال بحاجة
ولا يغتدي إلا على حدِّ بارح
فَلَمَّا رَأتْ أَلاَّ يُجِيبَ دُعاءَها
سقته على لوحٍ دماء الذّرارح
فقالتْ شرابٌ باردٌ فاشْرَبنّه
ولم يدْر ما خاضت له بالمجادح
فشدّ بذا حزنا على ذي حفيظة
وهان بذا غُرما على كفّ جارح
أخو المرء يؤتى دونه ثمّ يتقى
بِزُبِّ اللحى جُرد الخصى كالجمامح[73]

كما يهجو الحطيئة قومه، وقد بخلوا عليه حتى بشربة الماء، وعلى الضيوف الذين يترددون عليهم، يقول :

بَنِي عَمِّنا ما أَسْرَعَ اللَّوْمَ مِنْكُمُ
إلينا ولا نبغي عليكمُ ولا نجرْ
ترى اللّؤم منهم في رقابٍ كأنّها
رِقَابُ ضِبَاعٍ فَوْقَ آذانها الغَفَرْ[74]

لقد تفنن الحطيئة في إلصاق جميع الصفات القبيحة في من يهجوه، فها هو يعرض بالزبرقان، الذي يمنع ماءه عن الناس طالبي الشرب منه، حارماً ضيوفه من حقهم في الاستضافة، العادة العربية التي ما برح العرب يحافظون عليها و يفخرون بها، كما يجرده في الوقت ذاته من صفات التقوى والعلم بفضائل الرجال، يقول الشاعر :

أَنَخْنَا بِبَيْتِ الزِّبْرِقَانِ ولَيْتَنَا
مضينا فقلنا وسط بيت المخبَّلِ
وما الزِّبْرِقَانُ يومَ يَحْرِمُ ضَيْفَهُ
بمحتسب التّقوى ولا متوكّل
ولا عالمٍ ما في غدٍ غير أنّه
يرقّع أعضاد الحياض بمعول
مُقِيمٌ على بَنْبَانَ يَمْنَعُ مَاءَهُ
وماءُ وَشِيعٍ ماءُ عَطْشَانَ مُرْمِلِ[75]

هجاء يتعلق بصفة الغدر:

كره العرب صفة الغدر وصاحبها، وأجمع الشعراء على أن صفة الغدر من المعايب التي تنتقص من أخلاق العربي، وتؤثر سلباً في سيرته بين الناس، بل تُعد نقيصة تسلب الرجل الكثير من قدره ومروءته ووزنه الأخلاقي في المجتمع الجاهلي، وبات الرجل الذي يصدر عنه سلوك الغدر منبوذاً ويستحق التعريض به، وفضح سلوكه المخالف للفطرة البشرية القائمة على الاحترام المتبادل بين الناس.

فهذا عارق الطائي يسخر من وعيد عمرو بن هند و يهجوه، ملصقا به صفات الغدر المقيتة، وخصيلة نكث العهد التي تخلخل مكانة صاحبها، حيث يقول:

من مبلغ عمرو بن هند رسالة
اذا استحبقتها تنصتي من العبد
أَيُوعِدُني، والرَّمْلُ بيني وبينه؟
تأَمَّلْ رُوَيداً ما أُمَامَةُ من هنْدِ
ومن أجإ دوني رعان كأنها
قنابل خيل من كميت ومن ورد

غدرت بِأَمْر كنت أَنْت دَعوتَنَا
إِلَيْهِ وَبئسَ الشيمة الْغدر بالعهد
وقد يترك الغدر الفتى وطعامه
إذا هو أمسى جله من دم القصد[76]

ينعت الشاعر مهجوه بالغدر، تلك الصفة المذمومة التي تزيد صاحبها قبحا، وتذيع سلوكه الشائن بين الناس، وهي شيمة صدرت من عمرو بن هند، فتصدى الشاعر لكشفها وبيان آثارها عن طريق الهجاء الشخصي.

أما يزيد بن الخناق الشّني؛ فيهجو النعمان بن المنذر، ويتهمه بالغدر والخيانة والخداع وهذه من أقوى الأوصاف التي تهوي بالمهجو، وتنال من مكانته، يقول :

أعددْتُ سبحةَ بعدما قَرَحتْ
ولبستُ شِكَّةَ حازِمٍ جَلْدِ
لن تَجْمعوا ودِّي ومَعْتَبَتي
أو يجمعَ السّيْفانِ في غِمْد
نُعْمانُ إنك خائنٌ خَدِعٌ
يُخْفي ضميرُك غير ما تُبدي
فإذا بَدَا لك نحتُ أَثْلَتِنا
فعليكها إن كنتَ ذا حَرْد
يأبى لنا أنَّا ذوو أَنَفٍ
وأصولُنا من مَحْتِدِ المجْد
إن تغزُ بالخَرْقاءِ أُسْرتَنَا
تلق الكتائبَ دوننا تَرْدِي[77]

هجاء صفة الأنانية:

وقف الشعراء موقفا مناهضا لصفة الأنانية ، وهي حب الإنسان لنفسه ، وتفضيله لها على الآخرين، فهذا عروة بن الورد، يهجو الصعلوك الذي يركن إلى الراحة ، ولا يجلب الزاد إلا لنفسه، فهو يركن إلى الكسل ، ويجالس النساء اللواتي لا أعمال لديهن سوى الأعمال المنزلية التي لا ترقى لصفة الرجولة، يقول :

لحى اللَّهُ صُعلوكاً، إذا جَنّ ليلُهُ
مُصافي المُشاشِ، آلفاً كلّ مَجزر
ينامُ عِشاءً ثم يصبحُ ناعساً
تَحُثّ الحَصى عن جنبِهِ المتعفِّر
قَليلُ اِلتِماسِ الزادِ إلّا لِنَفسِهِ
إذا هُوَ أَمسى كَالعَرِيشِ المُجَوَّرِ
يُعَينُ نساءَ الحَيِّ ما يَسْتَعِنَّهُ
ويمسي طليحاً كالبعير المسحر[78]

يَدعُو عروة بن الورد على ذلك الصعلوك بـ (قبحه الله) الصعلوك دنيء النفس الذي إذا اظلم الليل: لازم مواضع نحر الإبل، يلتقط العظام و يمضغها، ذلك الصعلوك يتصف بضعف الهمة، فيكتفي كل ليلة بلقمة تشبعه مما يتساقط من فضلات الأغنياء .

ومن صفات هذا الصعلوك: الأنانية؛ فهو يطلب المال لنفسه دون النظر إلى الفقراء والمستضعفين، فيضيق به الحال، إذ لا سند له؛ كالخيمة المنهارة التي لا دعامة لها.

ينام ذلك الصعلوك ملء جفونه خاملا، ليس هناك ما يشغله، فهو كسول لا عمل له سوى إزالة ما علق بثيابه من الحصى والغبار، دلالة على خموله وقذارته.

وليس هناك ما يعمله هذا الصعلوك سوى خدمة النساء؛ فهو رجل ذليل يعيش عالة على مجتمعه، كونه ارتضى بالحياة الوضيعة، وفي المساء يكون متعبا كالبعير ،ومثل هذا الصعلوك جدير بكل ملامة.

هجاء صفة الضعف والاستكانة:

تعد صفة الضعف والاستكانة من الصفات التي أنف منها العرب في الجاهلية، فالرجل العربي يجب أن يكون قويا وكريما ومبادرا وعزيزا، أما الرجال الذين عرفوا بصفات الضعف والاستكانة، فقد كانوا محل سخرية من قبل الشعراء؛ فتناولوا صفاتهم بالهجاء والسخرية والتعريض، فهذا شماس بن أسود يهجو رجلا من دارم، اسمه حري بن ضمرة، لأنه ضعف واستكان عن حماية أحد أقربائه، يقول :

أَغَرَّكَ يَوْماً أَنْ يُقَـالَ ابْنُ دَارِمٍ
وَتُقْصَى كَمَا يُقْصَى مِنَ الْبَرْكِ أَجْرَبُ

فأد إلى قيـس بن حسان ذوده
وما نيل منكَ التـمرُ أو هوَ أطيبُ

فإن تصل رحم ابن عمرو بن مرثد
يعلمكَ وصلَ الرحم عضبٌ مجربُ[79]

أما النابغة الذبياني فيجعل النعمان بن المنذر رجلا ذليلاً، فهو: أذل من فقع بقرقرة، وهو مثل عربي، قرن صفة الكمأ الهزيل الرخو المغروس في أرض لينة، بالضعف والهوان، فيوطأ هذا الكمأ بأرجل الناس والبهائم، ولا يمتنع عما من يريد نزعه، ويقال: الفقعة لا أصول لها ولا أغصان، ويقال : فلان فقعة القاع[80]، وهكذا نلاحظ أن الشاعر استخدم القول العربي المأثور (أذل من فقع بقرقرة) ليلائم به صفات المهجو المتعلقة بالضعف والذلة والاستكانة كما في قوله:

حَدِّثُونِي بَنِي الشَّقِيقَةِ مَا يَمْـ
ـنَعُ فَقْعًا بِقَرْقَرٍ أَنْ يَزُولا[81]

ثانيا لهجاء المتعلق بالعيوب الخَلْقية:

يهتم هذا الهجاء بالعيوب التي محلها الجسد، كالعيوب الخَلقية التي وجدها الإنسان عالقة بجسده منذ الولادة أو اكتسبها جراء حوادث الحياة وظروفها، أكسبت هذه العيوب بشاعة المنظر في جسم الإنسان، وجعلته محطّ تندر الشعراء وهجائهم.

ومن خلال نصوص الشعر الجاهلي، نتبيّن أن الهجاء بالعيوب الخَلقية كان أقل مساحة وورودا من الهجاء بالصفات الخُلقية، ولعلّ هذا يعود إلى إدراك الشعراء أن مثل هذه العيوب هي عيوب ثانوية، لم يتدخل الإنسان العربي في إيجادها، فلم تكن وليدة لسلوك صاحبها، بل خلقت معه منذ الولادة، أو بعد التعرض لحادثة شوّهت بعضا من معالم جسده، ومن الممكن أن تذوب هذه العيوب وتتلاشى، ويضرب عنها صفحا، إذا سلك صاحبها طريق الصفات الخُلقية الكريمة، كالكرم والشجاعة والفروسية، وغيرها.

هجاء صفة البدانة الجسدية:

تعدّ صفة البدانة الجسدية من الصفات التي نظر إليها الشعراء نظرة ناقدة وذات حدّة، فالأصل أن يهتم الإنسان بجسده، ولا يتركه نهبا للراحة والكسل، فيتكدس اللحم الزائد في الجسد، ثمّ يعيق صاحبه عن الحركة والعمل المنتج والمشاركة في المعارك، ومن هذا ما ساقه طرفة بن العبد؛ في سياق هجائه لابن عمه عبد عمرو بن بشر، وكان خادما لدى عمرو بن هند، وأكثر ما لفت انتباه الشاعر في جسد مهجوه هو البدانه، وقد رأي الشاعر في البدانة عيبا من عيوب الرجل، تعيقه عن القيام بواجبات الحرب التي تحتاج إلى الجسد الرشيق، لأن البدانة تحد من الحركة السريعة والتنقل، وهي دليل على كسل صاحبها الذي يركن إلى الراحة، ولا يبادر إلى الحركة والعمل، يقول طرفة:

ولا خير فيه غير أنَّ له غِنًى
وأنَّ له كشحاً إذا قامَ أهضَما

تَظَلّ نساءُ الحَيِّ يَعكُفنَ حَولَهُ
يَقُلنَ عَسيبٌ من سَرارَةَ مَلهَما[82]

فهذا الرجل؛ مهما بلغت منزلته لدى الملك عمرو بن هند كونه أحد العاملين لدى الملك، سيبقى يتصف بالميل إلى الكسل وقلة الحركة، لحد أن كشحا بارزا في جسده نما له جراء الركون للراحة وقلة العمل، والنساء يطفن حول مظهره المشابه لهن.

هجاء منظر الوجه:

التفت الشعراء إلى صفات الوجه الإنساني، بوصفه واجهة الإنسان البارزة التي يلتقي بها الناس من حوله، فهو صورته والمرآة التي تعكس ما يدور بداخله، وقد انحاز العرب إلى الوجه المرحب بالضيوف، المتصف بالبشر والابتسام والمرح، فهو وجه الرجل الكريم المعطاء الذي يبذل دون حدود،

وتحفظوا في الوقت نفسه على الوجه العابس الذي ينفر الناس، ويخبر بصفات أخرى كالبخل والحدّة والانطواء والبخل.

ومن الشعراء الذين عرفوا بهجاء العيوب الخَلقية المتعلقة بصفات الوجه؛ الحُطيئة، إذ دأب على رصد عيوب الوجه وبقية الصفات والعيوب الجسدية في هجائه، ومرد ذلك أن الشاعر نشأ نشأة تتصف بالعوز الشديد؛ ذلك أن ظروفه الأسرية كانت معقّدة ومتردية، ولكونه شاعرا ذا حساسية مفرطة؛ تفاعل بقوّة معها نفسياً واجتماعياً وإنسانياً، وحالت بينه وبين تحقيق معناه ووجوده في الحياة.

وفوق ذلك كله؛ لم يرزق الشاعر بهيئة جسدية تعوضه عما يمر به، فقد كان معروفا بدمامة في الوجه والمظهر الجسدي بشكل عام، واللافت أنه وظف هذه الدمامة في فن الهجاء الشخصي، ووجدها موضوعا يستحق الخوض فيه.

فقد هجا الحطيئة نفسه هجاء شخصياً قاسياً؛ مؤكدا نقمته الشديدة من قبح وجهه ومنظر جسده الذي رزق به؛ وكان قد انتظر أي إنسان ليهجوه؛ غير أن ذلك الإنسان لم يأت، فبادر يهجو نفسه بنفسه قائلا:

أبت شَفَتَايَ اليَوْمَ إلا تكلماً
بشرٍّ فما أدري لمنْ أنا قائلهْ
أرَى لِيَ وَجْهاً شوَّه اللّه خَلْقَهُ
فقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّح حامِلُهْ[83]

إنه هجاء صريح لبعض أعضاء جسده، فشفتاه لا تنطقان إلا بالشر، ووجه دميم الخلقة لا يسر الناظر إليه، ثم يهجو نفسه بشكل كامل في: (فقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّح حامِلُهْ).

أما النابغة الذبياني فيهجو بني قريع، مشبها وجوههم بوجوه القرود، في قوله:

أقارعُ عوفٍ،لا أحاولُ غيرَها
وجوهُ قرودٍ، تبتغي من تجادعُ[84]

فوجوه بني قريع، وجوه بشعة في نظر الشاعر، تشبه وجوه القرود الدميمة.

ويطالعنا الأعشى في إحدى قصائده التي هجا فيها يزيد بن مسهر، وشبهه بالوعل قبيح الوجه والأحمق الذي ينطح صخره ليفلقها فلا يضيرها، وإنما يهلك قرنه، يقول:

لَأَعرِفَنَّكَ إن جَدَّ النَفيرُ بِنا
وَشُبَّتِ الحَربُ بِالطُوّافِ وَاحتَمَلوا
كَناطِحٍ صَخرَةً يَوماً ليَفلِقَها
فَلَم يَضِرها وأوهى قرنَهُ الوعلُ [85]

فيزيد بن مسهر يدّعي القوة والشجاعة، غير أنه ضعيف وأحمق لا يملك ما يدعيه، فيعمد – كالوعل الأحمق – إلى مناطحة الصخرة القوية، لتهلك قرونه من غير طائل.

هجاء شكل البطن :

يطالعنا خداش بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن صعصعة؛ وهو من شعراء قيس المجيدين في الجاهلية، وهو يهجو عبد الله بن جدعان التيمي، ولم يكن قد رآه، فلما رآه ندم على هجائه. ومما هجاه به ذكر بطنه وطعامه ساخرا منه، يقول :

وأُنْبِئْتُ ذا الضَّرْعِ ابْنَ جُدْعانَ سَبَّني
وإنِّي بِذي الضَّرْعِ ابنِ جُدْعانَ عالِمُ
أَغَرَّكَ أَنْ كَانَتْ لِبَطْنِكَ عُكْنَةٌ
وَأَنَّكَ مَكْفِيٌّ بِمَكَّةَ طَاعِمُ
وتَرْضَى بِأَنْ يُهْدَى لَكَ العَقْلُ مُصْلَحاً
وتَحْنَقُ أَنْ تُجْنَى عَلَيْكَ العَظائِمُ
أَبَى لكُمُ أَنَّ النُّفُوسَ أَذِلَّةٌ
وأَنَّ القِرَى عن واجِبِ الضَّيْفِ عاتِمُ
وأَنَّ الحُلُومَ لا حُلُومَ، وأَنْتُمُ
مِنَ الجَهْلِ طَيْرٌ تَحْتَها الماءُ دائِمُ
ولَوْلا رِجالٌ من عَلِيٍّ أَعِزَّةٌ
سَرَقْتُمْ ثِيابَ البَيْتِ والبَيْتُ قائِمُ[86]

يجعل الشاعر لبطن مهجوه (عكنة) وهي الطية التي تكون في البطن من كثرة السمن، يقال تعكن البطن إذا صار ذلك فيه، ولكل عكنة طرفان فإذا رآهن الرائي من جهة البطن وجدهن أربعا، وإذا رآهن من جهة الظهر وجدهن ثمانيا، ويصف الشاعر بطن عبد الله بن جدعان بأنها بطن مملوءة بالطعام بسبب الركون للكسل، وهذه من صفة النساء إذ يدأبن على الجلوس في البيوت، لا أعمال شاقة تنتظرهن كما تنتظر الرجال، وقد جرت عادة الرجال غالبا في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة من النساء.

كما يهجو خداش نفسه رباح بن ربيعة العقيلي، مبرزاً عيوبه الجسدية وهو في بطن أمه، ومقللاً من قيمة نسبه، مكثفاً صورة الهجاء في بيت واحد ولكنه يحمل من المعاني ما يجعل المهجو يحتل أسفل المراتب الاجتماعية؛ إذ يكفيه مذلة ومهانة أن قوم الشاعر سبَوا أمه وهي حامل به، فباعوها في سوق النخاسة:

بِعناكَ في بَطنِ مُخضَرٌّ عَوارِضُها
تَرى مِنَ اللُؤمِ في عِرنينِها خَنَسا[87]

يصف الشاعر بعض أجزاء جسد والدة المهجو، فبطنها منتفخ جراء الحمل، والرجل رباح كان جنينا قابعا في تلك البطن، وبدا أنف والدته قصيرا، وهيئتها ذليلة ودميمة.

هجاء شكل الفم ورائحته:

يعد شكل الفم القبيح من الصفات التي تزعج كثيرا صاحبها، وكل من ينظر إليه، أو يخالطه، يهجو المتلمس عمرا بن هند، وقد بدا فمه بأسنانه الصغيرة الصفراء قبيحا، تنبعث منه الرائحة الكريهة، يقول الشاعر:

كأن ثناياه إذا افتر ضاحكاً،
رؤوس جراد في أرين تخشخش[88]

رائحة كريهة تنبعث من فم المهجو، بسبب الأسنان التي تشبه رؤوس الجراد، ما يجعل الناس حوله لا يطيقون المكوث معه.

هجاء ضعف الجسد:

يطالعنا الحطيئة هاجياً صفة الضعف والهزال بسبب تقدم العمر في جسد والدته العجوز في قوله:

جزاك الله شرا من عجوز
ولقَّاك العقوق من البنين
فَقَدْ سُوِّسْتِ أمْرَ بَنِيكِ حتّى
تركتـهمُ أدقُّ من الطحينِ
فإن تخلي وأمرك لا تصولي
بمشـتد قواه ولا متين[89]

يدعو الشاعر لوالدته بالشر، معيرا إياها بالعجز وتقدم السن وضعف الجسد وتراجع قواه، كما يجعله آفة تبعث السوس في أجساد الأبناء، فتجعلهم ضعفاء وأدقاء لا قوة فيهم.

هجاء شكل الأنف والأسنان:

يهجو المتلمس الضبعي صفة خَلقية تتعلق بشكل الأنف، إنه أنف الملك عمرو بن هند الذي لا يعجب الشاعر، فهو أنف يميل إلى الخنس، والأنف الأخنس هو الذي تنخفض قصبته مع ارتفاع قليل في طرفيه، وهي صفة غير محببة عند العرب، وتعد من الصفات التي تسلب جمالية وجه صاحبها، فالأنف الصغير المتكور إلى الخلف كان نقيصة لاحظها المتلمس في وجه عمرو بن هند، مثلما لاحظ أسنان الملك المتناثرة في فمه كحبات العدس، يقول:

قولا لعمرو بن هند غير متَّئب
يا أخنس الأنف والأضراس كالعدسِ
ملكُ النهارِ وأنتَ الليلِ مومسةٌ
مَاءُ الرجالِ على فخذيك كالقرس
لو كنت كلب قنيص كنت ذا جدد
تكون إربتـــه في آخر المرس[90]

هجاء عيوب جسدية متفرقة:

هجا الشعراء الرجال الذين يشابهون في هيئاتهم النساء، وليس غريبا على الشعراء الجاهليين التنبه إلى هذه الظاهرة، فالعربي بطبعه يمتدح صفات الرجولة

القائمة على الخشونة، ولا يحتفي بصفات النعومة التي تعد من مظاهر الضعف التي لا تتلاءم مع صفات الشجاعة والإقدام في المعارك ومقارعة الخصوم .

ومن هذه الأمثلة هجاء عبد الرحمن بن حسان، لأحد أبناء عمرو بن الأهتم، وكان ولدا مليح الصورة، وفيه صفات مؤنثة، استخلصها الشاعر من شكل جسده الخارجي وصورته، يقول:

قُلْ لِلَّذِي كانَ لَوْلا خَطُّ لِحْيَتِه
أُنْثَى عَلَيْها الدُّرُّ والمَسَكُ
هَلْ أَنْتَ إلاَّ فَتَاةُ الحَيِّ إنْ أَمِنُوا
يَوْماً، وأَنْتَ إذا ما حارَبُوا دُعَكُ[91]

فثمة خط صغير غير ظاهر في لحيته، لو اختفى لكان من المناسب لهذا الفتى أن يضع عليها المسك، وقام بطليها بأدوات التجميل كما تفعل النساء، أما جسد هذا الفتى فيشبه جسد الفتاة الذي لا يصلح للحرب ومقارعة الأعداء بسبب ضعفه وهزاله ونعومته.

أما هجاء الميول الجنسية الشاذة، فتمثلت بهجاء طرفة بن العبد للنعمان بن المنذر، حيث بدا من هجاء الشاعر أن لدى النعمان ميلا للرجال، فهو ملك يمارس مهماته في النهار، وفي الليل يجتمع مع الرجال لممارسة السلوكات الشاذة، يقول الشاعر:

يَصيحُ عمروٌ علَى الأمورِ قَدْ
خَضْخَضَ ما للرِّجال كالفرَسِ
ملكُ النهارِ وَلَعْبُهُ بِفُحُولَة
يَعلُونَه بالليل عَلْوَ الأتيُس[92]

الخاتمة:

حاول هذا البحث النظر في ظاهرة الهجاء الشخصي من خلال نصوص الشعر العربي الجاهلي، من خلال مبحثين:

المبحث الأول: وقد عرض لمفهوم الهجاء لغة واصطلاحا، وحاور آراء الباحثين الذين تعرضوا له قديما وحديثا.

ثم انتقل المبحث لدراسة نشأة فن الهجاء وبداياته وبواعثه الأولى، حيث ارتبطت نشأته بالنزاعات والحروب والخلافات بين القبائل العربية والأفراد.

ثم درس المبحث أنواع الهجاء في العصر الجاهلي؛ كالهجاء الأخلاقي، والهجاء السياسي، والهجاء القبلي والجمعي، وقد بيّن طبيعة هذه الأنواع وخصائصها، ومثّل عليها بالأمثلة الدالة.

أما في المبحث الثاني فقد درس الهجاء الشخصي ومظاهره في الشعر الجاهلي كما وردت في نصوص الشعرية، وقسَّم الهجاء الشخصي إلى قسمين :

– الهجاء الشخصي المتعلق بالعيوب الخُلقية، ويتضمن الهجاء المتعلق بالعيوب والصفات الخُلقية عددا من الصفات منها: العيوب المتعلقة بالأنساب، وعيوب صفة البخل، وعيوب صفة الذلة والهوان والضعف والاستكانة، وعيوب تتعلق بصفة الأنانية وحب الذات، وعيوب تتعلق بصفات الغدر و الخيانة والخداع والاستعلاء.

– الهجاء الشخصي المتعلق بالعيوب الخَلقية، كالعيوب المتعلقة بدمامة الوجه، وشكل الجسد، وبدانته، ورائحته الكريهة، وصفة هزال الجسم وعجزه بسبب تقدم العمر.

وانتهى البحث إلى الاستنتاج بأن الشعر المتعلق بهجاء لصفات الخُلقية فاق في كثرته الشعر المتعلق بهجاء الصفات الخَلقية، وربما يعود ذلك إلى أن العرب أدركوا أن الصفات الجسدية هي مقدرة من الخالق تعالى على الإنسان، وليس له دور في اختيارها، بعكس الصفات الخُلقية من كرم ومروءة وشجاعة؛ فهي مكتسبة من تربية الإنسان ومن الحياة، ولهذا قاموا بمحاسبة الإنسان الذي يبدر منه تقصيرا فيها.

وخلص البحث إلى أن أشعارا كثيرة من الشعر الجاهلي صنفت في باب الهجاء الشخصي، عمد البحث إلى إبانتها، وإيضاح ملامحها.

الهوامش:

(1) ابن منظور(ت:711هـ) لسان العرب، طبعة دار المعارف، مصر، ط : 5 ،جـ :6 ،ص:27 ، 46. مادة هجو.

(2) الفيروز أبادي،(ت 817هـ) القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت ،1403هـ، جـ : 4 ، ص : 402 .

(3) أحمد بن فارس (ت:395)مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجبل ، ط ،1 بيروت ،1991م.جـ:6 ، ص: 38.وانظر: محمد عبد المنعم خفاجي، صلاح الدين محمد عبد التواب ، الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام، مكتبة الأزهر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، 1974م، ص: 130 ، ص: 131 .

(4) سراج الدين محمد، الهجاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان(د.ت) ص: 6 .

(5) ابن رشيق القيرواني(ت 463) العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: محمد عبدالحميد، دار الجيل، بيروت،1972م، جـ 1، ص:122.وانظر: أبو هلال العسكري(ت 395هـ) ديوان المعاني ، صححه : المستشرق كرنكو، منشورات مكتبة القدسي ، القاهرة 1352هـ ، جـ :1 ،ص: 91 .

(6) ابن رشيق القيرواني(ت :463) العمدة في صناعة الشعر ونقده.جـ2، ص:122، وانظر: محمد عزام، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، دراسة، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص:62.

(7) قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) نقد الشعر ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، (د. ط) بيروت ، (د . ت) .ص:113.

(8) ابن طباطبا العلوي، محمد بن أحمد (ت 322 هـ) عيار الشعر، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، ط 3 الإسكندرية ، (د . ت)ص:50 ، 51.

(9) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح (ت 850 هـ) المستطرف في كل فن مستظرف ، تحقيق محمد مهنا ، مكتبة الإيمان،(د.ط) ، المنصورة ، (د . ت) .ص:454.

(10) محمد محمد حسين،الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، مكتبة الآداب بالجماميز ، (د. ط) ، القاهرة ، (د. ت) ص:5.

(11) عبد الحميد جيدة، قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعي وابن الرومي ، منشورات دار الشمال للطباعة والنشر ، (د. ط) ، طرابلس ، لبنان ،1985م،ص:7.

(12) عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، بيروت، لبنان : دار الكتب العلمية، 1983م، ص : 140.

(13) بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي رؤية نقدية معاصرة ، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ،2001م ، ص:181.

(14) عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، ص : 148.

(15) يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2 ،1979م. ص:339.

(16) علي بن الحسين المرتضى(ت 436هـ) أمالي المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربية، مطبوعات عيسى البابي الحلبي،1954م،جـ: 1، ص: 190، لبيد بن أبي ربيعة، الديوان ، تحقيق : إحسان عباس، وزارة الإرشاد، الكويت،1962م: ص:106. وقصة الهجاء النثرية هذه تعود إلى أن عامرا بن مالكٍ ملاعب الأسنة وفد على النعمان في رهطٍ من بنى جعفر بن كلاب، فيهم لبيد بن ربيعة، فطعن فيهم ربيع بن زياد، وذكر معايرهم، ولم يزل به حتى صده عنهم، فرجعوا إلى رحالهم يتشاورون في أمره، فقال لبيد، وهو غلامٌ يحفظ رحلهم إذا غابوا: أنا صاحبه، والله لئن جمعتم بينى وبينه لأأفضحنه، فقالوا له: اشتم هذه البقلة، لبقلة قدامهم تدعى التربة، فقال: هذه التربة لا تذكى ناراً، ولا توهل داراً، ولا تسر جاراً، عودها ضئيل، وفرعها ذليل، وخيرها قليل، أقبح البقول مرعىً، واقصرها فرعاً، وأشدها قلعاً، بلدها شاسع، وآكلها جائعٌ، والمقيم عليها قانعٌ، يعنى: سائل..

(17) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٣ – ١٩٧٧م. ، جـ :1، ص:46. وانظر: بلاشير، تاريخ الأدب العربي ترجمة :إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٤م. جـ 1، ص: 427 ، وانظر:علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، دراسة في أصولها وتطورها،دار الأندلس، بيروت، ط1983،3م، ص:192.

(18) علي بن الطاهر ابي احمد الحسين المرتضى (ت : 436هـ) الأمالي ، تحقيق محمد بدر الدين النعساني الحلبي، طبعه مصر، 1907 ، جـ :1 ، ص:190.

(19) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ) الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ، (د . ط)1966م، جـ1 ،ص:305.

(20) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر الكناني(ت 255 هـ) البيان والتبيين، تحقيق حسن الندوبي، المطبعة الرحمانية، ط 2 ، القاهرة ،1932م،ص248. لم أستطع الوقوف على ديوان الشاعر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (نسع).

(21) شوقي ضيف، الشعر في العصر الجاهلي، دار المعارف ، ط 3 ، القاهرة (د . ت) ص:201.

(22) محمد محمد حسين ، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ،دار النهضة العربية ، بيروت ،1971م ،ص19.

(23) الحصينيون: بطن من بني الصبيب من جذام.

(24) زهير بن أبي سلمى، الديوان، صنعه : الأعلم الشنتمري، تحقيق:فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط : 3 ، 1980 م،ص:156،القوم: الرجال دون النساء، وسوف أدري: سأبحث عن حقيقة أمرهم، بنو حصن: من قبائل كلب.

(25) المرتضى ،الأمالي ، ص: 20 .

(26) يزيد بن حذاق الشني العبدي يزيد بن الصعق هو صاحب القول الشهير كما تدين تدان وهو القائل: فساغ لي الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الحميم.

(27) المكس: الجباية، مكسه يمكسه مكسا. والمكس : دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية، ابن منظرور، لسان العرب مادة (مكس).

(28) المفضل الضبي(ت: 168هـ) المفضليات تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، عبدالسلام محمد هارون الطبعة الثالثة، دار المعارف، 1964م، المفضلية: 79 ،ص 298. وانظر: بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي رؤية نقدية معاصرة، دراسة، ص:125.

(29) الماكس: الجابي، المكوس: و هو ما يأخذ الجابي.

(30) المفضل الضبي، المفضليات، المفضلية رقم 48. ص 130 . لات هنا ليس هنا، الزج : موضع : الشام ذات القرون في ظل الروم. صدقته المنى : نال ما تمنى: عوض الحين : ابد الدهر. اعتصر: التجأ ، السكت: السكوت، الهون: الهوان. مشتكى : نشتكي، النجد: المرتفع من الأرض، المرتفع من الأرض: الحزون: الغليظ منها.وانظر: بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي رؤية نقدية معاصرة ، دراسة، ص:126.

(31) عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي ص 271.

(32) ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر احمد بن محمد (ت: 328هـ)تحقيق: خليل شرف الدين ،ط: 1 ، 2001م، دار ومكتبة الهلال، ص:جـ: 3 ، ص :178.

(33) عامر بن الطفيل، الديوان، رواية أبو بكر الأنباري، دار صادر، بيروت، 1979م، ص:33.

(34) عنترة بن شداد العبسي، الديوان ، شرح التبريزي، قدم له : مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط:1، 1992 م، ص:39.

(35) المفضل الضبي، المفضليات، تحقيق: عبدالسلام هارون، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط :6 المفضلية ص: 342. الأباطح: جمع أبطح: بطن الوادي، يكون فيه الحصى الصغيرة، الضموز: مسك الحيوان جرته في فمه، والحمار لا يجتر فهو ضامز أبدا، المراد: سكنت من الخوف الشديد، خنثى: لا رجال ولا نساء.

(36) يوم النسار؛ بكسر النون والسين غير المعجمة كان بين بني ضبة وبني تميم والنسار جبال صغار كانت الوقعة عندها.

(37) المفضل الضبي ،المفضليات، ص:332 – 333.الشل: الطرد، الإيجاف: السير الشديد، العجوب: جمع عجب، وهو آخر العصعص، الغضاريف: التباع والأجراء، البيض : نساء العدو، الرهوة : ما ارتفع من الأرض وما انخفض.

(38) هذه التسمية الدقيقة أطلقها الباحث فوّاز حجّو، في مقالته: قراءة في مقدمة قصيدة لامية العرب، للشنفرى ، جريدة الأسبوع الأدبي العدد 1066 ،تاريخ 28-7-2007م.

(39) هو عمرو بن مالك الأزدي من قحطان ، يماني ، من فحول الطبقة الثانية ، ملّقب بالشنفرى ، زمن ولادته غير معروف ، أما عن وفاته فالمرجح أنها كانت نحوسبعين قبل الهجرة ، الموافق لـ 525 من ميلاد المسيح عليه السلام.نشأ في بني سلامان من بني فهم الذين أسروه وهو طفل صغير ، ولما شب وعرف بقصة أسره حلف أن يقتل منهم مائة رجل فقتل تسعة وتسعين ثم احتالوا عليه فأمسكه رجل منهم ، ويدعى أسيد بن جابر فقتله ، ثم مر به رجل منهم فرفس جمجمته ، فدخلت شظية منها في رجله فمات ، فتمت القتلى مئة.انظر :أبوالفرج الأصفهاني (ت 356هـ) الأغاني ، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة، بيروت، ط: 5 ، 1981م، مجلد 21،ص 209. وانظر :خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) قاموس الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1984 ، 6 ، جـ 5 ، ص 85. وانظر :عزيزة فوال بابتي: معجم الشعراء الجاهليين، دار جروس برس ،طرابلس، لبنان ،ط: 1 ،1998 ، ص 184.وانظر: حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) دار الجيل ، بيروت ، (د.ت) ص 170.

(40) شعر الشنفرى الأزدي، شرح مؤرج السدوسي(ت195هـ)علي ناصر غالب، مطبوعات مجلة العرب، الرياض، ط. الأولى، 1419هـ،ص:86،58.

(41) فوّاز حجّو ، قراءة في مقدمة قصيدة لامية العرب، للشنفرى ، جريدة الأسبوع الأدبي العدد 1066 ،تاريخ 28-7-2007م.

(42) محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت ،1971م ، ص:19 .

(43) قدامة بن جعفر (ت: 243هـ)نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية،بيروت (د. ت) ،ص:96.

(44) ابن طباطبا ، محمد بن أحمد(ت 322هـ) عيار الشعر، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، ط : 3، الاسكندرية (د.ت) ص: 50.

(45) ابن رشيق القيرواني(ت 463) العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: محمد عبدالحميد، دار الجيل، بيروت،1972م، جـ :2 ،ص:174.

(46) عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، مؤسسة شباب الجامعة، (د . ط) ، الإسكندرية، 1985م، ص:162.

(47) زهير بن أبي سلمى، شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب. 1970م، ص: 217.

(48) عبد اللطيف عبد الحليم، أدب ونقد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م،ص:8.

(49) حسان بن ثابت، 1983م، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري تحقيق دكتور سيد حنفي حسنين، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.ص: 111.

(50) بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي: رؤية نقدية معاصرة، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ،2001م ، ص:187.

(51) حسان بن ثابت، الديوان،تحقيق عبد الرحمن البرقوتي، دار الأندلس، بيروت. ص:297.مغلغلة: رسالة. عكاظ: سوق في الحجاز تجتمع فيه القبائل في مواسم معلومة للتجارة والشعر. القين: الحداد، وكانت العرب تأنف من ممارسة هذه الصناعة لأنها تراها صنعة الخدم. الكير: منفاخ الحداد.

(52) حسان بن ثابت ، الديوان ، ص:297. ترضخ: تكسر.

(53) الحطيئة، ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، 1378 هـ، ص:276.وانظر: الأصفهاني: الأغاني،جـ: 2 ، ص: 133.

(54) أبو فرج الأصفهاني، الأغاني جـ 2 ، ص: 152.

(55) الحطيئة الديوان، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق: نعمان محمد أمين طه . دار النشر: دار صادر ،بيروت، ط : 1 ،1407هـ، ص:126.

(56) هو جرير بن عبد المسيح الضُبيعي ، نسبة إلى أهله بني ضبيعة . ولد في البحرين وعاش في الشام . تبع قابوس بن المنذر ملك الحيرة مدة من الزمن ، هو وابن أخته طرفة بن العبد . وكان هذا الملك يقلد ملوك الفرس في إذلال الندماء والاصدقاء فوصلت الى مسامعه ابيات من الذم والسخرية كان الشاعران المتلمس وطرفة يتندران بها فحقد عليهما وارسلهما الى عامله في البحرين وهما يحملان رسالة مغلقة كتب فيها حتفيهما . وفي حين رفض طرفة ان يطلع على دسيسة القتل وسار الى حتفه عند عامل البحرين ، فان المتلمس قرأ الرسالة ورماها في نهر الحيرة وفر الى الشام . ومن هناك أطلق سلسلة من مواقف الكرامة والفروسية الجريحة يحرض فيها قومه على الثورة . وعندما مات الملك رجع الشاعر متخفياً الى البحرين والتحقت به زوجته أميمة . قال ابن سلام الجمحي في "طبقات فحول الشعراء": ((المتلمس، وهو جرير بن عبد المسيح بن عبد الله ابن زيد بن دوفن بن حرب بن وهب بن جلى بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة، ويقال ضبيعة أضجم، والأضجم: الحارث الخير بن عبد الله بن ربيعة بن دوفن، وبه ضجمت ربيعة، وكان سيدا. والمتلمس خال طرفة بن العبد، وإنما سمي المتلمس لقوله:

فهذا أوان العرض حي ذبابه

زنابيره والأزرق المتلمس

انظر: محمد ابن سلام الجمحي (ت: 231هـ)طبقات فحول الشعراء ، تحقيق: محمود محمد شاكر ،سلسلة الذخائر – الهيئة العامة لقصور الثقافة ،مصر،ص:38.

(57) اسمه الحارث بن التوأم اليشكري، وقال القيرواني الحارث بن قتادة اليشكري: شاعر جاهلي قديم، عاش في زمن امرئ القيس وله معه قصة مشهورة حين مالطه في الشعر فماتته، فآلى امرؤ القيس بعده ألا ينازع الشعر أحداً آخر الدهر

(58) عمرو الثالث بن المنذر ابن امرئ القيس اللخمي: من كهلان المعروف باسم عمرو بن هند ملك الحيرة في الجاهلية (توفي تقديرا 45 ق. هـ/578 م). عرف بنسبته إلى أمه هند عمة امرئ القيس الشاعر تمييزاً له عن أخيه عمرو الأصغر ابن أمامة. يلقب بالمحرّق الثاني، لإحراقه بعض بني تميم في جناية واحد منهم اسمه سويد الدارمي، قتل ابناً (أو أخاً) صغيراً لعمرو. ملك بعد أبيه. واشتهر في وقائع كثيرة مع الروم والغسانيين وأهل اليمامة. وهو صاحب صحيفة المتلمس، وقاتل طرفة بن العبد الشاعر. كان شديد البأس، كثير الفتك، هابته العرب وأطاعته القبائل. وفي أيامه ولد النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. واستمر ملكه خمسة عشر عاماً. وقتله عمرو بن كلثوم الشاعر صاحب المعلقة أنفة وغضباً لأمه في خبر طويل. خلفه أخوه قابوس بن هند.

(59) أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس و عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ، 1983، ص:149.

(60) المتلمس ، الديوان، ص: 16 ، 95 .

(61) حاتم الطائي، الديوان ، تحقيق :أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط : 1 ، 1986م ، ص:17.

(62) طرفة بن العبد ، الديوان ،شرح : الأعلم الشنتمري، تحقيق :درية الخطيب، لطفي الصقال، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان،ط: 2، 2000م، ص :74.

(63) المتلمس الضبعي ، الديوان، تحقيق : حسن الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ،1970م ، ص: 46 ، 47.

(64) الأعشى، ميمون بن قيس، الديوان، تحقيق: محمد محمد حسين،دار النهضة العربية، بيروت، ط : 1 ،1974م ص:102.

(65) الأعشى، الديوان ، ص:79.

(66) عامر بن الطفيل ، الديوان ، ص:29

(67) الأعشى ، الديوان ، ص: 69.

(68) طرفة بن العبد، الديوان ،ص :55.

(69) أوس بن حجر، الديوان ، تحقيق وشرح :محمد يوسف نجم، دار صاد، ط3، 1399هـ–1979م.ص :113. الشهباء: الكتيبة التي يتلمع حديدها، أخرم:طرف أسفل الكتف،أي كنت تقتل، فيقطع رأسك على أخرم كتفك.قرزل:فرس طفيل بن مالك.

(70) الحطيئة، الديوان، بشرح ابن السكيت، تحقيق: نعمان طه، مطبعة البابي الحلبي، مصر، (د.ت) ص : 305.

(71) المصدر نفسه، ص : 299.

(72) الحطيئة ، الديوان ، ص:353.

(73) المصدر نفسه، ص:317.

(74) الحطيئة الديوان، ص: 302.

(75) المصدر نفسه، ص:295 .

(76) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن(ت421هـ) شرح ديوان الحماسة، تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل،

ط: 1 ،جـ 1، 1991م، ص:1466 (رقم المقطعة: 616) عارق الطائي. ومن أجأ حولي رعان أجأ: أحد جبليهم. والرعان: جمع رعن، وهو أنف يتقدم من الجبل. والمراد بيان حال جبلي طيىء في وثاقتهما وحصانتهما، وأمن من ينزل بهما، وأن رعانه كأنها جماعات أحاطت بالجبل وأحدقت، فهي تذب عنها كمتاً ووردا. وذكر القنابل في التشبيه، والعز بأربابها يحصل.

(77) المفضل الضبي، المفضليات ،ص: 296.هو يزيد بن الخذاق الشني العبدي، من بني شن بن أفصى بن عبدالقيس، شاعر جاهلي قديم. وبعض المصادر تجعله يزيد بن خذاق (المرزباني 495). وخذاق: فعال من خذق الطير: رمى بذرقه. وقال هذه القصيدة في هجاء النعمان بن المنذر أرسل كتيبته دوسر فاستباحتهم. سبحة: فرس الشاعر. قرحت: تمت أسنانها وكبرت وهي في الخامسة من عمرها. والقروح في الخيول بمثابة البذول في الإبل. الشكة: السلاح . معتبتي: معاداتي وموجدتي. نعمان: هو النعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس ملك المناذرة والذي حكم (582 – 613م).الأثلة: الشجرة، مثل لعزتهم. حرد: تعمد وقصد. محتد: أصل.الخرقاء: كتيبة النعمان (انظر فصل الحرب). الخرق: الجهل. تردي: تتراكض وأيضاً بمعنى الهلاك.

(78) عروة بن الورد، الديوان، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، ص :68.

(79) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن(ت 421هـ) شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، د.ت ،ط :1، 1991م، ص:81.

(80) أبو الفضل، أحمد بن محمد الميداني (ت :518) مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعرفة ، بيروت،(د.ت)ج2، ص:18.

(81) النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة ذخائر العرب(52) دار المعارف، القاهرة، ط: 2، ص:170، الشقيقة: جدة النعمان.

(82) طرفة بن العبد، الديوان ،ص :73. الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وهو من لدن السرة إلى المتن، يعكفن: أي يطفن. العسيب: أغصان النخل سرارة الوادي: قرارته وأنعمه أجوده نبتاً. الملهم: قرية باليمامة.

(83) الحطيئة، ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، الناشر: مصطفى البابي الحلبي، 1378 هـ، ص:276.وانظر: الأصفهاني: الأغاني،جـ: 2 ، ص: 282.
وانظر :الأصفهاني: الأغاني،جـ: 2 ، ص: 136.

(84) النابغة الذبياني، الديوان ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط : 2، دار المعارف، القاهرة، سلسلة ذخائر العرب، د. ت، ص: 35.

(85) الأعشى، الديوان، ص:165.

(86) شعر خداش بن زهير العامري، عن الوحشيات، صنعة يحيى الجبوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق 1406هـ–1986م، ص:(72–73). هي العكن جمع عكنة وهي الطية التي تكون في البطن من كثرة السمن يقال تعكن البطن إذا صار ذلك فيه ولكل عكنة طرفان فإذا رآهن الرائي من جهة البطن وجدهن أربعا وإذا رآهن من جهة الظهر وجدهن ثمانيا ، وحاصله أنه وصفها بأنها مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن وذلك لا يكون إلا للسمينة من النساء وجرت عادة الرجال غالبا في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة.

(87) عبد الكريم إبراهيم يعقوب،أشعار العامريين الجاهليين، دار الحوار ،سوريا،اللاذقية ،ط: 1 ، 1982م،ص:26. في عرنينها خنسا يريد سبينا أمك وهي حامل بك فبعناها، وعوارضها أسنانها، خنس: قصر. العرنين: الأنف.

(88) أبو زيد القرشي (ت 170هـ) جمهرة أشعار العرب، تحقيق علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص:

(89) الحطيئة، ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، الناشر: مصطفى البابي الحلبي ، 1378 هـ، ص : 276. وانظر: الأصفهاني: الأغاني ، ج ـ: 2 ، ص: 278. وانظر: عبد الكريم إبراهيم يعقوب، أشعار العامريين الجاهليين ، دار الحوار، سوريا ، اللاذقية ، ط: 1 ، 1982م ، جـ :2 ، ص :135

(90) المتلمس الضبعي، الديوان، ص:48، غير مئتب: غير خجل،الإربة: العقدة، المرسل: الحبل، منتكس: منكس الوجه.

(91) شعر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، تحقيق: سامي مكي العاني، بغداد،ط 1 ،– ،1971م ،ص:24.

(92) طرفة بن العبد، الديوان، بشرح:الأعلم الشنتمري،تحقيق درية الخطيب، لطفي الصقال،المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط: 2، 2000م، ص:164.

المصادر والمراجع :

1– الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح (ت 850 هـ) **المستطرف في كل فن مستظرف**، تحقيق محمد مهنا، مكتبة الإيمان ،(د.ط) ، المنصورة ، (د . ت) .

2– أحمد بن فارس (ت:395) **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجبل ، ط ،1 بيروت ،1991م.

3– الأعشى، ميمون بن قيس، **الديوان**، تحقيق: محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1 ،1974م .

4– أوس بن حجر، **الديوان**، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، دار صاد، ط3، 1399هـ،1979م.

5– الثعالبي النيسابوري، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت:429 هـ) **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، القاهرة ، دار النهضة ، مصر ، 1965.

6– الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت 255 هـ) **البيان والتبيين** ، تحقيق حسن السندوبي ، المطبعة الرحمانية ، ط 2 ، القاهرة ،1932م.

7– حاتم الطائي ، **الديوان** ، تحقيق :أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط : 1 ، 1986م .

8- حسان بن ثابت، **الديوان**، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس، بيروت.
9- الحطيئة، **الديوان**، برواية وشرح ابن السكيت ، تحقيق: نعمان محمد أمين طه ، دار النشر: دار صادر ،بيروت، ط : 1 ،1407هـ.
10- خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) **قاموس الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1984م.
11- ابن رشيق القيرواني (ت : 463) **العمدة في صناعة الشعر** ونقده، تحقيق محمد عبد الحميد، دار الجيل (د . ط) بيروت،1972م.
12- زهير بن أبي سلمى، **الديوان**، صنعه : الأعلم الشنتمري، تحقيق:فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط : 3 ،1980م.
13- أبو زيد القرشي(ت : 170هـ) **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع(د.ت).
14- الشريف الرضي(ت: 406) **نهج البلاغة**، تحقيق :صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، 1983م.
15- الشنفرى الأزدي، شعر الشنفرى الأزدي، **شرح مؤرج السدوسي**(ت195هـ)علي ناصر غالب، مطبوعات مجلة العرب، الرياض، ط. الأولى، 1419هـ.
16- صدر الدين علي بن الحسن البصري (ت: 659هـ) **الحماسة البصرية**، تحقيق: مختار الدين أحمد.، دار عالم الكتب: بيروت 1983م.
17- ابن طباطبا العلوي (ت: 478هـ)**عيار الشعر**، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، ط 3،الإسكندرية ، (د . ت) .
18- طرفة بن العبد ، **الديوان** ،شرح : الأعلم الشنتمري ، تحقيق : درية الخطيب ، لطفي الصقال ، المؤسسة العربية ، بيروت، لبنان،ط : 2 ، 2000م.
19- عامر بن الطفيل، **الديوان**، تحقيق عمر الطباع، دار القلم، بيروت(د.ت) .
20- ابن عبد ربه الأندلسي، (ت: 328هـ)**العقد الفريد**، تحقيق: خليل شرف الدين ،دار ومكتبة الهلال،ط: 1 ، 2001م.
21- عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، **شعر عبد الرحمن بن حسان بن ثابت**، تحقيق: سامي مكي العاني، بغداد ،ط: 1 ،1971م.
22- عروة بن الورد، **الديوان**، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م، .
23- عز الدين ابن الأثير الجزري (ت: 630هـ)**أسد الغابة** في معرفة الصحابة، تحقيق : علي معوّض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية بيروت ، ط 2 ، 2002م.
24- أبو الفرج الأصفهاني (ت 356هـ)**الأغاني**، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، دار الثقافة، بيروت، ط: 5 ، 1981م.
25- الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، دار الفكر، بيروت، 1403هـ.
26- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت 276 هـ) **الشعر والشعراء** ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر ، (د . ط) 1966م.
27- قدامة بن جعفر (ت: 243هـ)**نقد الشعر**، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية،بيروت (د. ت) .
28- لبيد بن أبي ربيعة، **الديوان**، تحقيق : إحسان عباس، وزارة الإرشاد، الكويت،1962م.
29- المتلمس الضبعي، **الديوان**، تحقيق:حسن كامل الصيرفي،معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية ، 1970م.
30- المرتضى، علي بن الحسين(ت 436هـ) **أمالي المرتضى**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربية، مطبوعات عيسى البابي الحلبي،1954م.
31- المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن(421هـ) **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، د.ت ،ط :1، 1991م.
32- المفضل الضبي(ت: 168هـ) **المفضليات**، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون الطبعة الثالثة، دار المعارف، 1964م.
33- ابن منظور(ت:711هـ) **لسان العرب**، طبعة دار المعارف، مصر.
34- النابغة الذبياني، **الديوان** ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط :2 ، دار المعارف ،القاهرة ، سلسلة ذخائر العرب (د. ت).
35- ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي(ت: 626هـ) **معجم البلدان**، تحقيق: فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت،1410هـ.
36- أبو هلال العسكري(ت 395هـ) **ديوان المعاني**، صححه: المستشرق كرنكو، منشورات مكتبة القدسي، القاهرة 1352هـ .
37- بلاشير، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة :إبراهيم الكيلاني ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٤م.
38- بوجمعة بوبعيو، **جدلية القيم في الشعر الجاهلي**: رؤية نقدية معاصرة، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ،2001م .
39- حنا الفاخوري: **الجامع في تاريخ الأدب العربي** (الأدب القديم) دار الجيل ، بيروت ، (د.ت).
40- السباعي بيومي، **تاريخ الأدب العربي**، جـ 1 ،في العصر الجاهلي، مكتبة النهضة، مطبعة السعادة، مصر، ط : 1 ،1948م.
41- سراج الدين محمد، **الهجاء في الشعر العربي**، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان(د.ت)
42- شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي**، دار المعارف، القاهرة، ط20 ،2002م.

43- عباس بيومي عجلان، **الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية**، مؤسسة شباب الجامعة، (د . ت) ، الإسكندرية، 1985م.
44- عبد الحميد جيدة، قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعي وابن الرومي ، منشورات دار الشمال للطباعة والنشر ، (د. ط) ، طرابلس ، لبنان ،1985م.
45- عبد اللطيف عبد الحليم، **أدب ونقد**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1988م.
46- عزيزة فوال بابتي: **معجم الشعراء الجاهليين**، دار جروس برس، طرابلس، لبنان ،ط: 1 ،1998م.
47- علي البطل، **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري**، دراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس، بيروت، ط1983،3م.
48- عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، ط :3، 1980م.
49- فوّاز حجّو ، **قراءة في مقدمة قصيدة لامية العرب**، للشنفرى ، جريدة الأسبوع الأدبي العدد 1066 ،تاريخ 28-7-2007م.
50- كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٣ - ١٩٧٧م.
51- محمد عبد المنعم خفاجي، صلاح الدين محمد عبد التواب، **الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام**، مكتبة الأزهر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، 1974م.
52- محمد عزام، **النصُّ الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي**، دراسة ،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 2001م.
53- محمد محمد حسين، **الهجاء والهجاؤون في الجاهلية**، دار النهضة العربية ، بيروت ،1971م .
54- يحيى الجبوري، **الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه**، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط: 2 ،1979م.

The Image of the personal satire in pre – Islamic Arabic poetry

Abstract

Satire In Pre- Islamic Arabic poetry
This research tackles personal Satire in Pre- Islamic Arabic poetry. First, it defines Satire. Then, it discusses its beginnings.
Next, it presents its ethical, political, tribal and communal types as well. Later, it analyses personal satire and its features based on some samples that epitomize it best.
Finally, it focuses on Al –Hutay'aa's poetry as an example.